جيلالي بسكري

الرحلة الثامنة للسندباد

رواية

ترجمة

نبيلة زويش





JL
Editions

الرحلة الثامنة
للسندباد

الكتاب

الرحلة الثامنة للسندباد

المؤلف

جيلالي بسكري

المترجم

نبيلة زويش

مراجعة

د. عبد القادر بوزيدة

الناشر

لزهري لبتر للنشر

هاتف / فاكس : 17 37 93 21 213+

النقال : 70 02 55 70 213+

E-mail : lazharilabtereditions@gmail.com

إلى المرحومة أمي بيـة

القسم الأول

البصرة عام 776 بعد الميلاد

عند حافة رصيف ميناء البصرة، ذات أمسية جميلة، كان هناك طفلان متقاربان في السنّ، عمرهما حوالي 14 سنة، يصطادان في هدوء وسكينة. كان أحد الطفلين الذي يُدعى ناد (ندير)، يمسك بيده اليمنى قصبة ويراقب التموجات التي أحدثتها سمكة جذبها الطعم اللذيذ المشكّل من دودة ثُبّتت في الصنارة. أمّا صديقه سليم فقد كان وهو منحني الظهر، وأنفه يكاد يلامس الأرض، يحرك، وفي يده خنجر صغير، الديدان ليتبينّ أصلحها طعما للسمك.

فجأة صرخ ندير مبتهجا.

– أمسكت بها! أمسكت بها!

– بسرعة يا سليم، ساعدني إنها كبيرة!

أطلق سليم علبته المملوء نصفها بالديدان وأسرع لمساعدة "ناد" الذي كان يشد بصعوبة القصبة التي التَوَتْ عن آخرها.

– آ ...آ... آه إنها كبيرة! تأتأ سليم الذي كان يجد صعوبة في النطق.

– اسحبها، لا تطلقها! أرخِ الصنارة قليلا.

– أ...أ...أنا أجذب.

– مزيدا من الجهد... وسنمسك بها.

سحب الصنارة دفعة واحدة فعلقت السمكة الفضية الصغيرة في طرف الخيط. يقارب طولها 15 سنتمترًا، لكنّها كانت تتخبط خارج الماء بقوة كبيرة.

أمسكنا بها! إنها جميلة!

– إنها جميلة! إنها جميلة...صاح الطفلان كل بطريقته.

– بسرعة يا سليم، الخنجر، قطّع الخيط!

– تركها، وجرى لإحضار الخنجر، بينما ترك "ناد" الغنيمة تجرّه صوب حافة الرصيف.

– قبض سليم والخنجر في يده، على القصبة مع "ناد"، الذي أمر والسمكة في متناول يده.

– أمسك بها وقص الخيط.

اقترب سليم من الغنيمة، والخنجر بين فكيه. وأمسك بها ثم ثبّتها بساعده إلى خصره. وبيده اليمنى أمسك برأس السمكة، وباليسرى قطّع الخيط، ثم عرضها كغنيمة.

– ولـ... ولـ... وليمة، وأوأ سليم.

– احذر! يا سليم . . .

وقبل أن ينهي الجملة، كانت السمكة قد أفلتت من يد سليم وغطست في الماء.

– آه... لا ! تأوه سليم، وهو محبط مما جرى، وبدون تفكير، ارتمى في الماء ليمسك بالغنيمة.

– لا، يا سليم، لا تفعل هذا! دعك منها، سنمسك بغيرها . . .

– أخرج سليم رأسه لاهثًا من تحت الماء، وجلس على الحافة ثمّ نظر إلى صديقه والأسف باد عليه وحاول مواساته وهو يتأتئ :

– لا تق ... لا تقلق يا "ناد"، عِنـ ... دي ديدان أخرى سمينة جدا!

– نعم، وإذا لم نحصل على أسماك، سنشوي ديدانك. . . أجاب "ناد" بتقزز.

وبعفوية انفجر الصديقان ضحكا.

– ها ! ها ! ها ! آه.

– وبينما كان "ناد" يتمرغ في الأرض، تقصى سليم الأفق، وفجأة بدا منفعلا:

س س س س... س س س س

– اعتدل ناد، ونظر بتعجب إلى سليم الذي كان يشير بأصبعه إلى نقطة في الأفق، ويبدو أنه كان يجد صعوبة في النطق:

– س س س س... س س ... سِند... سِند ! سِند !

أدار "ناد" رأسه في الاتجاه الذي أشار إليه سليم وصاح بدوره:

– سندباد ! سندباد !

في الأفق، بدا مركب شراعي يبحر صوب الميناء. خرج سليم من الماء وارتمى بأحضان "ناد". قفز الصديقان مسرورين من شدة الفرحة، وكانا يغنيان ويتبادلان اللطمات.

– اذهب، أسرع يا سليم وأعلن الخبر السار! كانت ساحة الميناء تُطل على سوق شعبية تعجّ بتجارة متنوعة. هناك بائعو الزرابي، والأواني الفخارية، والأقمشة، والتوابل وأطيب الفواكه منضّدة بعضها فوق بعض بكياسة. وفجأة، ينصرفون عن أشغالهم ليتطلّعوا إلى سليم الذي كان يجري ويومئ في كلّ الاتجاهات:

– سن ... سن ... سن... أُويْ!

علقت رجله بحبل خيمة ووجد نفسه مطروحا بكامل جسده على كومة كبيرة من قُفف مغبرة. أمسكه بائع الأمساط من يده وهزّه بشدة:

– ما بك يا سليم؟ هل رأيت عفريتا ؟

– رفقا بالطفل يا بهلول! أمر يوسف، التاجرُ ذو الشنب الكثيف. تعالَ يا ابني قل لي ما يسيئك.

أشار سليم بإصبعه إلى الأفق متلعثما:

– سن... سندباد !

– توجهت كلّ الأنظار في الاتجاه نفسه وعلا صوت جماعي..

– يالله! سندباد !

– تعرف الجمع على مركبة سندباد الرائعة وهي تقتربْ بعظمة من الرصيف. أسرع الجميع صوب المركب في صخب كبير.

– سندباد ! سندباد !

– وفي لمح البصر، انتشر الخبر في كل أرجاء البصرة.

كان المركب الفخم على وشك الرسوّ، وعلى السطح الأمامي وقف سندباد، يحيي بلا تكلف الجمع الذي كان يهتف باسمه.

عند المقبض، كان الشيخ مختار يقود المركب بمهارة وخبرة. وأرساه على طول الرصيف، وقام "أكبر" القوي، ذو الساعدين المفتولين بإلقاء المرساة ليثبت المركب نهائيا.

قفز سندباد كسنور، وهبط وسط الجمع المرحب به.

أقبل يوسف نحوه، واحتضنه بقوة، بينما راح الجمع يربّت على ظهره بمحبة.

– يا الله، لقد رجعت بين ذويك يا صديقي، قال أكبر الوجهاء في البصرة.

– بفضل معجزات العليّ القدير. لقد أراد الله أن تكون الرياح مواتية لنا. أجاب السندباد.

– كلّ البصرة ستكون في عرس على شرفك، يا سندباد أضاف يوسف، مرحًا.

– سيكون ذلك مبعث سرور كبير، خاصة بالنسبة لرفاقي. أما أنا فيجب أن اذهب في أسرع الآجال إلى خليفة بغداد في مهمة ذات شأن عظيم.

– فلتصحبْك مشيئة الله وتقودك لسبيل الخير، دعا يوسف:

– شكرا لك يا صديقي.

– يا ناد، عزيزي الصغير ناد! قال سندباد للصبي الذي ارتمى عليه.

– سندباد، أكبر، مختار، شيكو، أصدقائي الأعزاء! صاح الفتى مبتهجًا.

حطّ شيكو الببغاء فوق يد "ناد".

– فستق ! فستق !

– لدي قناطير من الفستق لك يا شيكو.

– فستق ! هذا جميل !

– يا ناد، أين سليم ؟ سأل سندباد.

– أنا هنا ! أنا هنا! أجاب سليم وهو يجذب سندباد من قميصه.

ويدون أن يتوقف شدّ السندباد رأس الصغير إلى خصره.

– لقد كبرت يا سليم، قريبا ستصبح بحارا جيدا، أكد له سندباد.

– قل يا سندباد، هل ستأخذني على مركبك ؟ قل نعم، قل نعم!

– قلنعمقلنعمقلنعم ! ردّد الببغاء.

– سنرى أيها البحار. لكن قبل ذلك تعالا أيّها الطفلان لتريا الهدايا التي أحضرت لكما! أشار سندباد لـ"أكبر" الإفريقي الذي أخرج من داخل مزوده شيئين غريبين من نحاس منحوت بمهارة وأعطاهما لسندباد.

ارتمى الطفلان فرحًا بين ذراعي أكبر ومختار.

قدّم سندباد بوصلة صغيرة لـ"ناد".

– بهذا لن تضيع أبدا في الصحراء، راح يشرح له سندباد.

– البحر هو الذي لا أريد أن أضيع فيه، أريد أن أصبح بحارا كبيرا مثلك، أسرّ إليه ناد.

– بتعيينها للشمال، ستسمح لك هذه البوصلة بالإبحار كأي بحار يستعمل خريطة النجوم.

– ياالله ! صاح الجميع.

استدار سندباد صوب سليم.

– هذا منظار، يقرّب الأشياء البعيدة.

أخذ الصبي المنظار، ضبطه على عينه وصوبه إلى السوق. في الحال قفز وصاح متعجبا :

خطف منه التاجر السمين، بهلول المنظار وراح يتقصى ساحة السوق الخالية تقريبا.

– يا الله، أي معجزة هذه! الأشياء تتقدّم نحوي.

وجه الآلة صوب نافذة منزل أين تقف عادة فتاة جميلة.

– آه سميرة يا محبوبتي، كم أنت جميلة! قال بهلول وهو يداعب الفراغ بيده. وتنهّد، سأهديك كل حرير دكاني لو تقبلين بي.

بينما كان سليم عالقًا بجلبابه يحتج ويطالب بمتاعه، بهلول، وهو مهتاج، وجّه المنظار ناحية دكانه. عندئذ، وكأن زنبورا لسعه، أطلق المنظار بين ذراعي سليم وانطلق بسرعة مذهلة.

يا للهول! سارق في دكاني! صاح وهو يجري صوب السوق.

استبدّت بالجميع قهقهة متواصلة:

– ها! ها! ها!

ارتعب شيكو، وحلق فوق الجمع المبتهج المحيط بسندباد ومختار وأكبر الذي كان يحمل نديرا المبتهج على كتفيه، نديرًا الذي يكاد يطير فرحًا. توجه الجميع نحو ساحة السوق.

بغداد، معقل المشرق الرائعة حيث يتحاذى خارق بابل وحداثة كل المشرق، حداثة الصين، والهند، وفارس، وإفريقيا وحتى حداثة الغرب، تنتصب هنا، بجلال، حيث تلتقي دجلة والفرات، بفسيفسائها المكررة والمتنوعة، ومساجدها التي تنمّ عن ذوق رفيع.

بغداد، سليلة الإسلام والرياضيات، مدينة العلوم والشعر، مرفأ الفنانين والإبداع. تجيء القوافل المحملة بكل أنواع المواد الغذائية، والتوابل والحرير من الأصقاع البعيدة لتحلّ هنا في أكبر الأسواق، وأكثرها ازدهارًا وأزهاها ألوانًا وأعطرها في الكون. إنّها الحاضرة الساحرة، ذات النظام الاجتماعي

الرائع، في ظلّ وزارة جعفر وخلافة هارون الرشيد.

كان الخليفة هارون الرشيد وهو متربع على عرشه، مندهشًا ومزهوًا في الوقت نفسه بأبي نواس، الذي كان، وهو في حالة من الاضطراب ينشد أبياتا في حضرة كبير الوزراء جعفر الذي كان يسترق إليه نظرة باسمة.

– ها! ها ! ها! قهقه الخليفة وجعفر، عندما ألقى أبو نواس آخر بيت مركّزًا على القافية.

– بدا الشاعر متضايقا وهمّ بإضافة بعض الكلمات لكنّه عدل عن ذلك عند مجيء شيخ صيني بكيمون أسود، انحنى برقّة وصمت أمام الخليفة.

– آسف على إزعاجك سمو الخليفة، قالها باحترام كبير.

– نعم، أيها المخلص هانقلي.

– هناك شخص مهم يود لقاءك.

– ومن يشرفنا إذًا بزيارته ؟ استعلم هارون الرشيد.

– سندباد، يا سيدي.

– سندباد البحري؟

– نعم، يا سيدي.

– يا الله، عاد سندباد! أسرعْ! أدخله! أمر الخليفة.

وفي الحال أدخل سندباد إلى القاعة الملكية، انتزعت أناقته إعجاب الحضور، وبينما كان يستعد للتحية، ترك الخليفة كرسيّه وأسرع مشرعًا ذراعيه.

– تعالَ بين أحضاني، يا صديقي.

جمع الرجلين عناق صادق وحار، تحت نظر جعفر وأبي نواس المتعاطفين معهما.

– يا لها من مفاجأة سارة يا عزيزي الجسور! هتف الخليفة بسرور.

– لي الشرف العظيم يا سيدي.

– ما هذه الغيبة الطويلة ! من أين أقبلت هذه المرة ؟

– من سفر طويل وغير عادي يا سيدي.

– ككل رحلاتك العجيبة.

– نعم ... لكن هذه كانت رحلة فريدة.

– هيا، قص عليّ مغامرتك، إني متشوق لسماعها، أكد الخليفة.

– الواقع أنّي، جئت أحدثك عن قضية شديدة الأهميّة بالنسبة لي، قال سندباد بنبرة جادّة.

– يا الله يا رحيم، أني مَصغٍ لك يا صديقي، قال الخليفة وقد اعترته الحيرة.

استأذن الوزير وأبو نواس لمغادرة المكان حتى يتركاهما لوحدهما.

– اسمح لنا بالانصراف، يا سيدي، فهناك مهام هامة تنتظرنا.

– لا،لا، واصلا تعليقاتكما السابقة، أمّا سندباد وأنا فنتمشى في حديقة القصر، طمأنهما الخليفة.

تقدم سندباد نحو الوزير وعانقه بودّ.

– عزيزي جعفر!

– أهلا بك في مدينتك، أجابه جعفر بتواضع.

التفت سندباد إلى أبي نواس وتعانق الرجلان، وهما يضحكان من قلبيهما.

– صديقي أبا نواس، لقد افتقدت سهراتك التي أحنّ إليها حنينًا.

– تلك التي سننظّمها على شرفك ستكون دون شك أروع.

هنأ سندباد الشاعر والتحق بالخليفة الذي، عندما وصل إلى الباب الكبير للقاعة، أمر الوزير:

– جعفر! أريد أن تُقام الأفراح في بغداد كلّها على شرف سندباد!

وهو راض، قاد الخليفة سندباد وذهب الاثنان يذرعان أروقة القصر الرائعة التي تُفضي جميعها إلى الحدائق الفاخرة.

قُدّم الشاي بالنعناع المعطر بماء الورد في شرفة مزهرة بالياسمين والورد، في أروع حديقة من

حدائق القصر. كانت عطور طيبة من الياسمين وإبر الراعي تطفو في الهواء، ينعشها الماء المنبجس من الفوارات البلورية.

بعد أول جرعة شاي، بادر الخليفة بالمناقشة.

– هل هو أطول أسفارك، سندباد.

– أيْ نعم، أكّد سندباد.

– سنتان، أليس كذلك، أضاف الخليفة مدقّقًا.

– بالنسبة لك، لكن ليس بالنسبة لي.

– كيف ذلك؟

– قمت برحلة دامت 2004 سنين، ذهبت حتى عام 2224 هجري بمعنى 2800 بعد الميلاد.

– ماذا تقول يا صديقي ؟ إنّه من المستحيل السفر في المستقبل!

– أفهمك، أنا نفسي أجد صعوبة في التصديق إنه سفر غريب. سفر غريب بحق.

– آه نعم، يحدث أحيانا أن نحلم أحلاما نذيرة... خاطر الخليفة بالقول وهو يجد صعوبة في تصديق ضيفه .

– لم يكن حلما يا سيدي، لكنه سفر حقيقي في المستقبل وفي الفضاء! قال سندباد بلهجة جادّة.

– إذا كانت هذه هي إرادة الله، فاحكِ لي عن هذه الرحلة العجيبة، قال هارون الرشيد مرتبكا.

بدأ سندباد حكايته وهو يتطلّع إلى البعيد هادئ المحيا:

– بعد رحلتنا السابعة، عَهِدَ لنا شخص غامض بشيء غريب، ذي شكل أغرب. وطلب منا مقابل مبلغ كبير من المال، نقله إلى جزيرة غير معروفة، مشار إليها بنقطة على خريطة قديمة جدا سلمها لنا بحذر شديد. أغرتنا القيمة المالية الهامة وسهولة المهمة، فقبلنا العرض دون تردد. في اليوم التالي أقلعنا ووجهتنا تلك الجزيرة. مرت أيام وأسابيع وكلما اقتربنا من المكان، لم نكن نلمس أي شكل من أشكال الحياة. فلا أثر لأيّ طائر بحري في السماء، ولا، حتّى أيّ سمكة في الماء. لا شيء في محيط المكان المشار إليه في الخريطة يثبت وجود أي جزيرة.

وذات يوم، بينما كانت حساباتنا تبيّن بأننا كنا في الموقع المؤشر إليه في الخريطة، فجأة ومن دون أيّ مقدّمات، احتدمت عاصفة إلى أقصى ما تعيه ذاكرة البحارة، لم يُسمع أبدًا من أحد كلام عن عاصفة الرياح الأربع. تصارعنا مع عناصر الطبيعة كالمجانين، حتّى استنفذنا تمامًا كلّ قوانا الجسدية. فقدنا جميعنا الوعي. حتى اليوم لا احد منا قادر

على القول كم من الوقت استغرق ذلك. أيقظنا صوت غريب انبعث من الشيء الذي كنا نحمل.

كان كلّ طاقم المركب، والحمد لله بخير وعافية، ولم يتضرّر المركب الشراعي كثيرا. ثم فجأة، كما بمفعول سحري، ظهرت الجزيرة أمامنا.

– يا إلهي! صاح الخليفة الذي حيرّته حكاية سندباد

– والأغرب هو كونها لا تشبه أي جزيرة وصفها البحارة والأساطير. كانت من بلور وردي متلألئ. توجد أعمدة ضخمة منتصبة هنا وهناك، تعلوها أهرام سداسية الشكل على قدر كبير من الجودة. دفعتنا الحيرة والفضول والانبهار بجمالها إلى الانجرار نحوها. وكلّما اقتربنا منها كانت الأصوات المنبعثة من الشيء الغريب تصبح مسموعة، مثل موسيقى يتسارع إيقاعها ويتسع إلى أن يصبح غير محتمل. فجأة، خيّم سكون تام على الأجواء وتحرّكت شقة جدار كاشفة عن فتحة كبيرة تفضي إلى أعماق الجزيرة.

كنّا منبهرين فلم نقدر على القيام بأبسط حركة، وجرّتنا قوّة خفيّة نحو تلك المغارة. كانت الجدران تتبدّى أشكالا مقوسة رائعة. وكانت ملاسة سطحها تتجاوز في إتقانها كلّ ما يمكن أن يقوم به إنسان.

همس لي أكبر وقد اهتاج فجأة: « سبق وأن رأيت هذا في إفريقيا انه بلور صخري من الخارج وعين الهر من الداخل. لكن كل شيء هنا ضخم ... وجد جميل ».

نظرنا مندهشين، دون ردّ فعل، شقة الجدار ترجع إلى مكانها والجزيرة تنغلق بسكون علينا.

فجأة صعقنا بوميض، وراحت المركبة تدور كالخذروف. استولى علينا الدوار والهلع، لكن المركب بدأ يخفّف السرعة تدريجيا. وعندما استقرّ في النهاية وجدنا أنفسنا أمام باب آخر انجررنا صويه ببطء.

قدنا السفينة لمغادرة المغارة في صمت وذهول تامين. ولم ندرك إلا بعد وقت طويل أننا كنّا نطفو ... ليس فوق الماء ... لكن في الهواء!

– يا إلهي! مع السفينة؟ صاح الخليفة مضطربا.

استغرق سندباد وقتا وهو يهز الرأس.

– وماذا بعد؟

– بعد ذلك ظللنا نطفو بدون أن تكون لدينا أدنى فكرة عن اتجاهنا. ولا حتى عن مصيرنا. ومن حولنا عن اليمين واليسار، في الأمام والخلف، تحت هيكل السفينة وفوق صاريها الكبير، كانت نجوم تتلألأ.

كنا مفتونين بجمال هذا الإطار السماوي، فعجزنا عن ضبط الاتجاه الذي أخذه المركب، في بعض الأحيان كان يبدو لنا أننا كنا ثابتين وأن الفضاء يتحرّك من حولنا. لقد فقدنا كلّ إحساس بالزمن.

في لحظات أخرى كنا نحس أنّ تيارًا غريبًا يجرّنا داخل دوّامة من نور ولم يكن لدينا خيار آخر غير التمسك بالحبال. كنا نفقد الوعي بالتناوب، لكن الدوار أصبح مألوفا لدرجة أننا أصبحنا نقبل بمصيرنا دون انفعال، ولا ندم.

– كان كلّ شيء جميلا جمالًا لا يُقاوَم!

استنشق سندباد، وقد أخذه الانفعال، نفحة كبيرة من الهواء وتوقّف لحظة أخرى.

– أرجوك يا صديقي، أكمل حكايتك، رجاه الخليفة، متلهفا لسماع هذه المغامرة.

لما فتحت قليلا عيني، وجدتني في قاعة كبيرة، محاطًا بأشياء غريبة كانت تبعث أصواتا وأنوارًا. اندسّ صوت امرأة بلطف بين الأصوات الاصطناعية وأخرجني نهائيا من ذهولي!

عندما أدرت رأسي لمحت خيالا أنثويا جميلا اقترب مني وهمس لي بنبرة مطمئنة:

– أنا الأميرة زهرة من منقرة، لا تخشَ شيئًا يا سندباد. أصدقاؤك بخير. تعرّفنا عليكم بفضل

نظامكم الخاص بالالتواء المغناطيسي، مشيرة إلى الشيء الغريب الذي كنا ننقل من بغداد.

بهرني جمالها ورقة صوتها. لم أفهم بعض كلماتها، مع أنها بعد ذلك أصبحت مألوفة لديّ.

– وهذه الأميرة زهرة، هل هي جن أم ملاك؟

– لا، إنّها بشر مثلك ومثلي، طمأنه سندباد. إنّها ببساطة هي وشعبها، أحفادنا في المستقبل في سنة 2224.

– تريد أن تقول إنّ خلفنا سيعيش في الفضاء؟

– الله له أسبابه عندما خلق الكون واسعا والإنسان حباه بعقل لا ينضب معينُه، فكّر الخليفة. وكيف هم الذين من سلالتنا في هذا العالم؟ أ لديك فكرة عن ثقافتهم، عن دينهم؟

– النزاع الأبدي بين الخير والشر.

– هو هذا! حينئذ فكرت أنه إذا كانت مساهمة صغيرة تستطيع مساعدة الخير ليتغلّب على الشر في هذا العالم المستقبلي فأنا مستعد للمخاطرة بحياتي ومركبي. طاقمي هو أيضًا قرّر الذهاب معي ذاهب، قال سندباد بنبرةٍ واثقة مصمّمة.

– يا الله ستعاودون الذهاب ثانية؟

– نعم سيدي يجب أن أتم رحلتي الثامنة!

– ولماذا عدتم إذن ؟

– جئت لأخذ بعض الجاوي.

– الجاوي؟ لبان الجاوي، هذا الصمغ البسيط الذي نجده في السوق، عند كلّ باعة البخور؟ لكن لماذا؟

– لعمق إيماني وإيمانك سيدي، يجب أن أحفظ السرّ.

– نعم، القدر بيد الله الرحيم. وافق هارون الرشيد.

– في المساء، سأقدم لك دليلا ماديا على ما قصصت عليك.

– فلتكن مشيئة الله.

– في ساعة متأخرة من الليل، تحت ضوء قمر جميل، ، كان الخليفة ممتطيا حصانه الأبيض الأصيل، يتأمل بفضول سندباد. كان هذا الأخير يكلم أحدا، وشفتاه ملتصقتان بقرص مضيء كان يضعه في معصمه. داخل القرص هناك صورة مصغرة جدا لوجه أكبر.

– أكبر! 32 درجة شمالاً، على الضفة اليمنى للفرات!

انتعشت الصورة وسُمع صوت أكبر:

– سأصل هناك خلال عشر دقائق، يا سندباد!

– هيا بنا يا سيدي يجب أن نسرع بمطايانا.

كان الخليفة مندهشا والسندباد متفكّها عندما ابتعدا عن المدينة وهما يعدوان عدوا سريعا. سارا ممتطيين جواديهما. عبر الصحراء مدة نصف ساعة، وصلا عند سفح تلّ بمحاذاة الفرات، من القمة أشار لهما أكبر ليلحقا به.

– من هنا! من هنا!

نزلا من على الجوادين المغبرين النضحين عرقا ليريحاهما ودلفا إلى ممرّ بغالي، مضاء بالقمر لحسن الحظ.

كان الخليفة، الذي أرهقه الجهد المبذول وفتنه المنظر الذي انكشف له في قمّة الهضبة، يحملق بعينين جاحظتين وكأنّه يريد طرد وهم استبدّ به.

نزل أكبر صويهما فوق عبّارة خرجت من آلة حديدية عجيبة صفراء اللون كلها منحنيات واستدارات. تحت باطن الآلة كان ضوء قويّ يشتعل وينطفئ بانتظام مسرع.

لم يستطع الهدوء الظاهر وتمالك الخليفة إخفاء الفزع الذي يظهر في عينيه. ولم يلاحظ حتى التحية التي أداها له أكبر، بعد أن حي سندباد.

قرّر هذا الأخير أن يضع حدًا للسر والعذاب. صعد العبّارة وتربع على مقعد وخاطب صديقه:

هذه مركبة فضائية يا سيدي، تعوض الخيل والمراكب الشراعية التي نستعملها اليوم لكنها أسرع وتذهب أبعد. هل تريد أن تجرب.

احمرّ وجه الأمير وتردّد برهة ثمّ دون أي كلمة استقل العبّارة وجلس بوقار جنب سندباد.

ضغط سندباد على زر فبدأت مئات الأزرار الأخرى، من كل الألوان، تومض، ثمّ سُمع دوي المحرّك المكتوم الصوت.

– هذا سحر، قال الخليفة، وعيناه مشدودتان للوحة القيادة المضاءة.

– لا إنه نتاج معرفتهم. نسميه "الهاي–تيك" (التقنية الراقية)، حاول سندباد المنشغل بوضع آخر اللمسات لضبط لوحة القيادة، أن يطمئنّه.

اربط حزامك سيدي سنغادر الأرض!

حالما نفّذ المطلوب، أدار سندباد مقبضا، فأقلعت المركبة.

– يا الله لا يمكن أن يكون إلا سحرًا!

– لا تخف يا سيدي لا يوجد ذرة من سحر في كلّ هذا. إذا وافقت سنجعلك تقوم بجولة فوق مملكتك!

أخذت المركبة المتحركة بدفعة عمودية في الارتفاع. كان الخليفة مندهشا، يضع يديه المنقبضتين على المسندين، وكان جسده منفكا قليلا عن المقعد، وحنجرته منقبضة، وعيناه جاحظتين، وكان، من نافذة المركبة، يشاهد الأرض وهي تبتعد. كانت الخيل، التي أرعبها الغبار المتطاير وصوت المحرك، تحاول الإفلات من المِطوَل الذي يشدها إلى جنيّة. وكان أكبر الذي أصبح يبدو صغيرا جدًا، يحاول شدها.

عندما حلقت المركبة الفضائية فوق بغداد، كان الخليفة يمعن النظر بإعجاب في مدينته المضاءة بآلاف المشاعل لم يشك في جمالها أبدًا، لكن المشهد الذي تراء له كان أخاذًا.

كانت المدينة المحاطة بجدار ضخم دائري، تقبع أنيقة فوق منحنى الضفة اليسرى للنهر. وكانت هندسة قصره الفاخرة والمساجد بمناراتها المهيبة الموجهة إلى السماء تشعر الخليفة بالرضا وتغوص به في أحلام عذبة.

انعطفت المركبة إلى الجنوب-الشرقي بسرعة كبيرة وحلّقت فوق شيراز، ثمّ، نحو الشمال، فوق مدينتي نيسابور وسمرقند، على طريق الحرير.

عندما وصل على مرأى من الهند، استدار ثمّ حلّق

فوق دمشق، الإسكندرية، المغرب ثمّ شبه الجزيرة الإسبانية، ثمّ الدول الإفرنجية.

أشار سندباد بأصبعه ها هو قصر صديقك شارلمان.

– ها! ها! بدأ هارون الرشيد يضحك هل نستطيع أن نسلّم عليه ؟

– مستحيل! يجب أن نرجع، سيطلع النهار عما قريب.

مرّوا فوق إيطاليا، وحلّقوا مع الفجر، والشمس الطالعة في مواجهتهم، فوق مدينة القسطنطينية الشهيرة. وفوق أنطاكية شرع سندباد في عملية الاقتراب من أجل الهبوط.

في قلب الصحراء، في خان قوافل، كان ستة رجال، خلف إمام، يصلون صلاة الصبح. حلّقت المركبة من فوقهم على علو منخفض بينما كانوا ساجدين. هبّت نفحة ريح قويّة وحارة وكسحت ظهورهم المنحنية، لكن عندما اعتدلوا، كانت المركبة قد اختفت في قرص الشمس الذهبي. وبعد لحظات فاجأهم هزيز أسرع من الصوت لكن دون أن يشوّش حقّا خشوعهم.

انعطف قطيع غزلان كان يجري في الفضاء الواسع عند اقتراب الآلة الطائرة. وكان سندباد وهارون الرشيد يستمتعان غاية المتعة بتحليقهما فوق الواحات الجميلة القائمة وسط المحيط الرملي.

– ساحر، هذا جميل، قال الخليفة وقد فتنه المنظر.

استغرق الرفيقان في ضحك كبير.

– ها! ها! ها! ها!

عندما هبطا، كان أكبر ينتظرهما ومعه مطيتيهما.

– هل أعجبتك جولتك يا سيدي؟ سأل.

إنّه لشيء ساحر، ساحر! شكرا أكبر، شكرا سندباد! قال الخليفة بمودة محتضنا إياهما بقوّة بين ذراعيه.

سحب من كيس منسوج من صوف معلق في قربوس سرجه، قرابا جميلا من جلد مزخرف.

– ها هو أحسن لبان جاوي الرقصة الجاوية، عندي صديق يغرسه خصيصا لي.

– شكرا، سيدي! قال سندباد متأثرا، والآن اسمح لنا بالمغادرة.

ردّ الخليفة مازحًا حتّى يخفي تأثره.

– عند رجوعكما، أحضرا لي شيئا سحريا مثل هذا! لن استعمله إلا لجولاتي الليليّة ومن حين لآخر من أجل الذهاب لمباراة شطرنج مع صديقي شارلمان.

ها! ها!

افترق الرجال الثلاثة على قهقهة صريحة.

استلم أكبر القيادة بينما راح سندباد يحيّي مرة أخيرة.

كان الخليفة فوق فرسه، يشاهدهما وهما يطيران في السماء.

– فليضئ الله دربكما وليحفظكما، يا صديقيّ.

على الجسر الخلفي للمركب، كان سندباد وأكبر ينظران لآخر مرة إلى مدينة البصرة وهي تبتعد.

سأل شيكو سندباد وهو جاثم على كتف أكبر

– قل يا سندباد، أتمنى أن نرجع، لأنّه لا يوجد فستق حيث سنذهب.

– إن شاء الله، أجاب سندباد.

ومن موقعه في مؤخرة المركب الشراعية قال موجها الخطاب إلى رفاقه:

– لنتّجه إلى الجزيرة الوردية!

انطلق المركب بسرعته البحرية، وكانت أشرعته المرفوعة تدفعها ريح ملائمة، وكانت النوارس البيضاء والفضية تجهد نفسها في متابعتها. وكان المركب يبدو وكأنّه يحلّق فوق الماء لولا الأثر الأبيض الذي يتركه كأخدود على صفحة البحر الأزرق والذي يشي بحقيقة الأمر.

كان مختار يمسك دفّة المركب بكلتا يديه وهو يرسل إلى البعيد نظرة حالمة، وكان يثمّن النسمة العليلة وهي تداعب وجهه. فهو يدرك أنّ طراوتها تنبئ بمغامرات كبرى.

بعد مدة طويلة من غياب الشاطئ عن الأنظار، خفتت الريح فجأة، خيم سكون محير على البحر وعلى المركب.

نظر سندباد بقلق إلى الأشرعة المرتخية. وتقصى الأفق والسماء. ثمّ نقع بعد ذلك طرف حبل في البحر، وعصره بين أصابعه وبطرف لسانه تذوّق الماء. أسرع أكبر إليه وقد رآه متأهّبا.

– هل وصلنا؟

– أعتقد ذلك.

– كان شيكو يرتجف فوق كتف أكبر.

– برززْ! هذا المكان يشعرني بالقشعريرة!

التحق مختار برفاقه وهو نصف نائم، كان يشعر بالضغط وتلقائيًا وضع نفسه في حالة تأهب.

– بسرعة، أنزلوا الأشرعة! أمر سندباد.

انطلق أصحابنا يتسلّقون الحبال بحميّة.

وعندما بلغوا آخر شراع هبت نسمة خفيفة فأمر سندباد مجدّدا:

– بسرعة مختار أمسك الدفة!

تضاعفت شدّة الريح، ومنعت سندباد وأكبر من إنزال آخر شراع.

كان مختار هو الآخر يجد صعوبة في تثبيت دفة المركب وكان سندباد، وهو في مقدم المركب، يشجعه.

– أدر المقبض كليا إلى اليمين.

– المقبض كليا إلى اليمين، كرر بعده شيكو، الببغاء.

– ثبت الدفة على 35°.

– الدفة على 35° أكد مختار.

دون سابق إنذار ظهرت سحابة ضخمة كثيفة غبراء، كأنّها نجمت من العدم، وغمرتهم فجأة. اشتدّت الريح وتحولت إلى إعصار. وفجأة دوت السماء بانفجار مصمّ.

اهتز الموج بعنف وزعزع هيكل المركب. أسرع شيكو بالو لوج في كوّة المركب.

– احذروا، الريح ذات الرؤوس الأربع! الجميع فوق السطح المركزي! نصح سندباد.

ربط الأصدقاء الثلاثة أنفسهم بحبال المركب. تدفّقت موجة كبيرة فوق الميمنة وغمرت المركب

كليا. دام ذلك لحظة، وعندما عاد المركب إلى الظهور، كانت كل الأشياء التي لم تربط جيدا قد حملها الماء. سمع فجأة صراخ تحت شراع الاستبدال الذي جرفه الماء.

– النجدة! النجدة!

وفي اللحظة التي أوشك فيها الغطاء أن يسقط من فوق يسار المركب ظهرت ساق نحيفة.

قفز سندباد كالبرق وبالكاد أمسك الساق في آخر لحظة. وما أن اكتشف أنه ناد، حتى ألقت بهما موجة أخرى عارمة خارج المركب. قبض سندباد بقوّة على عرقوب الطفل وتمكّن من إخراج رأسه من تحت الماء، بينما كان ناد يتخبّط تحت الشراع.

صرخ أكبر:

– أمسك الحبل.

جذب سندباد ناد إليه، بيد وبالأخرى شد الحبل وعقده حول جسمه.

– ارفع الصبيّ إلى أعلى!

بينما كان أكبر يستخرج ناد الذي ضاقت أنفاسه سبح سندباد صوب المركب المهتز تحت ضربات الأمواج الصاخبة.

سلّم أكبر ناد لمختار ثم انحنى من فوق الحافة ليقبض يد سندباد ويرفعه خارج الماء. أسرع الرجلان المنهكان المترنّحان ليحتميا. لم يكن لديهما الوقت ليتبادلا كلمة إذ وجدا نفسيهما فجأة في ظلام دامس.

أخيرا عرف الطاقم الأعمى، الصامت، الذي تؤرجحه الأمواج والمضطرب، فترة هدوء خفيف. تبدّد السحاب واستقرّ المركب فوق بحر أملس لامع. استدار سندباد صوب ناد.

- يا إلهي، ماذا تفعل هنا، يا ناد؟

اختبأت طيلة الرحلة تحت هذه الشراع، قال ناد.

لكن لماذا؟

- لأنّكم بالنسبة لي، وحدكم ما تبقى لي من أهل ... ثمّ أنت وعدتني أنّني سأصبح يوما ما بحارا فوق مركبك، ردّ ناد متلجلجا.

- لكن أنت صغير جدا على هذه المغامرة، حيث يترصدنا الخطر في كلّ لحظة، قال سندباد متضايقًا.

- فات أوان التراجع، وشوش مختار وهو يلقي نظرة تواطؤ مع ناد.

– طيب، ستكون نوتي الباونت! (يعرف مركب سندباد باسم الباونت).

– نوتي! نوتي! أنشد شيكو، وقد طمأن أخيرا وغادر مخبأه.

عندما رأى ناد الببغاء لم يستطع إخفاء بهجته:

– مرحى شيكو!

– الطاقم في مراكز القيادة! أمر سندباد.

التزم الكل بتنفيذ الأمر. أسرع مختار إلى مركز نوتي الإشارة وأكبر صوب السطح الخلفي.

– تغيير نظام الإبحار! أمر سندباد من جديد.

– غُيرَّ النظام، أكد مختار.

– شغلوا مراقب الآلات، أمر سندباد من أعلى مدرج آخر عتبة السطح الخلفي.

– تمّ تشغيل المراقب.

– أنزلوا صواري السفينة.

– بدأ إنزال الصواري.

– افتحوا الباب الأرضي الخلفية.

– الباب الأرضي مفتوحة.

– اضبطوا نظام الالتواء المغناطيسي!

– نظام الالتواء المغناطيسي جاهز.

فتح أكبر صندوقًا من خشب أحمر، أخرج آلة عجيبة. مصنوعة من أنابيب برونزية متداخلة مشكّلة هيكلاً معقدًا يحوي في مركزه كرة بلورية زرقاء موضوعة فوق قاعدة فولاذية.

شغّل زرا صغيرا فانتشرت كل الأنابيب لتملأ كل حيز في الصندوق.

– نظام الالتواء المغناطيسي جاهز، أكد أكبر.

– شغّل النظام.

– كانوا صامتين يلاحظون الجهاز بضع لحظات وعندما لم يلاحظوا أي رد فعل للكرة البلورية، استدار سندباد صوب مختار:

– اتجهْ فوق سبع وعشرين درجة اثنين شرقا!

قاد مختار بمهارة، ومن مؤخرة المركب أكّد وضعيته.

– الاتجاه فوق سبع وعشرين درجة اثنين شرقا!

انتظروا صامتين لحظة مترصدين نظام الالتواء المغناطيسي الساكن. كان سندباد يتأمّل ويتقصى الأفق ثمّ صحّح الاتجاه: ثمانية وعشرون على الميمنة!

بقي شيكو صامتا وما كاد مختار يبدأ في التشغيل حتى بدأ جهاز الالتواء المغناطيسي يرسل دويا.

– قف! قف! صرخ سندباد.

– قف! قف! ردّد الببغاء.

– قف صاح الطاقم دفعة واحدة، باتجاه مختار، الذي أوقف التشغيل حالا.

أصبح الدوي أقوى فأقوى، كانوا يفحصون سطح البحر من كل الجوانب، ولكن لا شيء يظهر حول المركب. ثمّ بدأت نوتات موسيقية تصدر من نظام الإلتواء المغناطيسي وراحت تتضاعف.

فجأة بدأت الكرة البلورية تضيء وتأخذ تدريجيا لونا يميل إلى الزرقة. حملقوا بملء أعينهم في الكرة المضيئة التي يبدو أنّها تتفادى نظراتهم فوق قاعدتها.

فجأة صرخ ناد.

– انظروا! هناك، انظروا!

كانت هناك على بعد مئات الأمتار يسارا كتلة ضخمة، تشق سطح البحر، شاهدوا، مبهورين، نصف كرة ضخمة من البلور الوردي، تعلوها أعمدة شفانيّة، بدأت تبرز تدريجيا وتظهر وكأنّها تطفو فوق الماء.

– ما هذا؟ سال ناد، منفعلا.

– إنّها الجزيرة الوردية، أجابه اكبر.

– طيّب، لكن لماذا كانت تحت الماء، ألحّ ناد.

– الواقع أنّها دوّامة... علّق مختار.

– دوامة؟ لم يكن ناد مقتنعًا بإجابة رفاقه.

– من هنا سيتم نقلنا، ردّ أكبر.

– أي نقل؟ سال ناد وقد زاد اهتياجه.

– نقل الـ...

قبل أن ينهي أكبر جملته، أثارت طقطقة صادرة من نظام الالتواء المغناطيسي انتباههم كانت الكرة البلورية محاطة بهالة من ومضات متموّجة تتحوّل إلى شعاع لامع يأخذ شكل نصل فلوري. الشعاع الغريب امتد باتجاه الجزيرة. وكان يبدو أنّ هذه الأخيرة تتجاوب عندما يلامسها الشعاع. أصبحت شفانيّة، طيفية، عندئذ ببطء انزلق جزء من نصف الكرة ، مثل باب تنفتح فينكشف قلب الجزيرة.

تحرك الباونت بقوة عجيبة، استدار جانبا وانساق تجاه الفتحة. ودون التفوّه بكلمة، كان الطاقم يرقب عاجزا أجهزة المركب وقد تكيّفت مع تلك الحركة... الطاقم ينظر عاجزا، أجهزة المركب تكيفت مع القيادة...

عندما أصبحوا داخل الجزيرة، راح ناد يتفحص بنظره جدران المغارة. فجأة، انغلق الباب بصوت قاطع.

بسرعة، أخذت الجزيرة تدور. تشبّث أعضاء الطاقم بعضهم ببعض آملين بذلك تفادي قذفهم في صوت حادّ، أخذت حركة الدوران تتسارع حتّى أثارت دوامة عظيمة حول الباونت. كان الطاقم، المطوق بصلابة يقاسي القوة النابذة للدوامةأصبحت الدوامة جهنّمية. على طول محورها كانت تتجلّى قوة في شكل لمعان شديد، وبدافع تسارعها، تمدّدت الدوامة وصغرت بينما تقلّص المركب على مد البصر، حتّى اختفى نهائيا. عندما خفّت سرعة الدوامة استعادت تدريجيا حجمها وعاود الباونت الظهور. كان أعضاء الطاقم، الجامدون كليّا، ممدّدين على السطح.

أخيرا، انفتح باب جديد، منزلق، فانجرف المركب ببطء نحو الخارج.

القسم الثاني

عندما فتح سندباد عينيه رأى رفاقه يسترجعون ببطء وعيهم.

كانوامنهكين مدوخين يحاولون الاعتدال وهم يترنحون.

– أنجر الانتقال؟ سأل مختار سندباد.

– نعم، بنجاح.

بلا مبالاة، مشى ناد وهو يفرك عينيه باحثا عن نسمة منعشة ليستيقظ. استنشق دفقة هواء، واتكأ على حافة المدرّج الخارجي وقبضتاه تحت ذقنه وهو يبتسم باحثا بنظره عن الأفق. لم يجده. كان قلقا، ثمّ انتفض وهو يهتف متعجّبا:

– انظروا، إننا نطفو في الهواء. إننا نطير!

– إنّنا نطير! انظروا نحن في الهواء!

إيه نعم، لقد أصبحت عصفورا مثلي! علق شيكو متهكّما وهو الذي عركته في الرحلة السابقة.

أحسّ ناد بخفته خفّة غريبة. نظر، حائرا إلى أصدقائه وهم يمشون وبالكاد يلامسون خشبات السطح. دفعته قوّة من ساقيه وجعلته ينفصل عن السطح. كان معلّق في الهواء يحرك ذراعيه كما نفعل بالأجنحة، وأطلق صرخة وهو يكاد يطير فرحا ودهشة.

– أنا أطير! أنا عصفور!

– عجبا، عنده ريش! قال شيكو.

كان ناد، القلق، يتلوى ليتفحص جسمه بينما كان أعضاء الطاقم يتلوّون من الضحك.

– لا يا ناد، أنت لم تصبح عصفورا، طمأنه سندباد. نحن بعيدون جدا عن الأرض ولا يوجد أي جرم سماوي في الجوار حتى يجذبنا في حقل جاذبيته.

إنّ كل الأشياء، مثلنا تماما، تطفو في الهواء، مهما كانت قامتها وكتلتها.

– نحن في الفضاء، أضاف أكبر بلطفٍ وهو يداعب رأس ناد البريء.

استرجع كل أعضاء الطاقم بشاشتهم وبعد لحظات أعلن سندباد:

– هيا يا أصدقائي إلى مراكزكم! ستبدأ مغامرتنا.

تمركز بقية الأعضاء في أماكن محددة في المركب، ما عدا ناد الذي لم يكن يعرف ماذا يفعل.

صعد سندباد فوق المعبر وجذب مقبضا، انفتحت مقصورة، كاشفة لوحة تحميل قابلة للاخفاء تحتوي على شكّة أزرار وعدادات، شغّل قاطع كهرباء فأضاءت لوحة القيادة.

– شغّل نظام القيادة اليدوية، أعلن سندباد.

– نظام القيادة اليدوية شغّال! ردّد مختار.

– افتحوا مقصورة درع الأمان.

أجاب صوت من عنبر المركب:

– مقصورة الدرع مفتوحة!

– شغّلوا الدرع!

– الدرع شغّال!

غطّت قبّة زجاجية شفافة كل القسم العلوي للمركب.

– عجلات المفاعلات في موضعها!

– عجلات المفاعلات في موضعها!

برز مفاعلان ضخمان من الجهتين الجانبيتين الخلفيتين للهيكل.

– شغّل المفاعلات!

– خذوا أماكنكم واربطوا أحزمتكم، سوف ننطلق! أمر من جديد سندباد وهو يضغط على مختلف الأزرار في لوحة القيادة.

أخذ البحارة الثلاثة أماكنهم فوق كراسيهم وربطوا أحزمتهم، أمّا ناد الذي لا يفهم شيئا في هذه العمليات فقد وجه نظرة متسائلة إلى أكبر.

– نحن الآن في المستقبل في عام 2224 هجري الموافق لعام 2800 بعد الميلاد. سنسافر بعيدا، بعيدا جدا في الفضاء وبسرعة، بسرعة كبيرة شرح له أكبر.

غطّى دوي المفاعل المتزايد، صوته. قطب ناد وجهه وقد أخرجته شروح أكبر وأثارت إعجابه. لكنّه كان مطمئنّا في أعماقه، لأنّه البحّار الصغير في مركب سندباد، ويريد أن يكون في مستوى سمعة الطاقم.

– الدافع الأيوني إلى اليمين، باتجاه منقرة. احذروا، إننا ننطلق.

تكوّر الببغاء، الذي فاجأته الانطلاقة على ركبتي أكبر الذي كان يطمئنه بمداعبة ريشه.

– ادفعوا الآلة إلى الأمام.

اندفع المركب بسرعة مدوّخة، بفعل الدافع الأيوني.

من عمق مركز القيادة، كان سندباد يعلن:

آلة 1، آلة 2، آلة 3، آلة 4، ....، آلة 17، ... انبجست من المحركات حزمتان ضخمتان من ضوء أحمر، تتوسطها صفرة ثمّ تميل إلى الزرقة شيئا فشيئا كلّما اجتاز المركب طبقات مختلفة من الغاز والغبار، تاركا وراءه أثرا مذهلا من ألوان فاقعة.

– احذروا! سننتقل إلى السرعة الضوئية، ضعوا مصوبات الحماية!

بينما كان أكبر يضبط بصمت زوج النظارات فوق الوجه الصغير لناد، راح هذا الأخير يسأله عن ضرورة تغطية الأعين. أدرك حينذاك أن صديقه ليس وحده الذي لا يسمعه، لكن هو نفسه لا يسمع صوته. حاول أكبر أن يشرح له بحركات كبيرة أنّ سرعة مركبتهم أسرع من الصوت... لكن دون جدوى، فتوقّف. وسكت ناد مرتبكا.

جذب سندباد مقبض الغازات، فغلّف وميض أبيض المركب للحظات. تتابعت أربع ومضات: أحمر، أصفر، أخضر وأخيرا الأزرق الذي دام أكثر قليلا من الألوان الأخرى وتبدد تدريجيا ليترك من جديد المكان لضوء أبيض.

نزع أصحابنا نظاراتهم وضبطوا مكبرات الصوت لأجل التواصل. استدار مختار، بمظهر المشاكس، نحو ناد الشاحب الوجه الجاحظ العينين.

- هل أنت بخير بني؟

- أوووف هتف ناد.

- ها أنت مسافر في الفضاء، قال العجوز مختار وهو يتظاهر بتمجيده. نحن نقوم برحلة عظيمة ما بين المجرات بسرعة الضوء.

- وكيف يمكن لمركب شراعي أن ينتقل بسرعة الضوء؟ سأل ناد، وقد بدا مرتابا.

في رحلتنا الأخيرة، آوانا شعب ذو حضارة لامعة ترأسهم أميرة نبيلة تسمى زهرة. هذا الشعب له تحكم كبير في المعرفة وقد برع في كل ميادين المعرفة. بفضله، تعلمنا نظام ملاحة جديد في الفضاء، لقد غيرنا بنية مركبنا ونظام دفعه. نستطيع من الآن فصاعدا أن نبلغ سرعة الضوء. وهذا يسمح لنا أيضا أن نكون الآن متحررين من تقلبات الرياح.

- من هي الأميرة زهرة؟ سأل مجددا ناد،وهو معجب.

- قريبا ستتعرف عليها! قال سندباد وهو يلحق بالجماعة. لأجلها رجعنا إنّها وشعبها في وضع صعب. رجعنا لنمد لهم يد المساعدة.

– إنّها جميلة الأمير زهرة! قال شيكو وهو يقفز على ركبتي ناد.

لكن أين هي؟ سأل ناد متلهفا وفضوليا.

– يفترض أن نلقاها في منقرة الموجودة على بعد سبعة أشهر ضوئية.

– منقرة؟

إنها قطب ضخم خارج الكواكب، مدينة كبيرة معزولة في الفضاء. ليست تابعة للأرض ولا لأي كوكب آخر، تخيل مثلا بغداد، وحدها في السماء. منقرة أكبر، أكبر بكثير. والتجارة تتمّ فيها بين المجرات.

مرت ليال وأسابيع وشهور وأصحابنا مسافرون في جو مرح.

ذات ليلة بينما الكل يتأمّل بإعجاب اللوحة السماوية، صاح مختار، الذي يقضي الآن أغلب وقته في مركز نوتي الإشارة، صاح فجأة:

– طريق نيغا! طريق نيغا! لقد خرجنا من الفراغ الفلكي!

أسرع الجميع نحو الوَكْنِ ونظروا إلى شاشة لوحة القيادة.

– تمهل، تمهل بسرعة! أمر سندباد.

دفع مختار مقبض الغاز فتباطأ الباونت. تلوّن هيكله بلونيات مختلفة بحسب نظام تحلل الطيف الضوئي.

- أوقف نشاط درع الأمان.

ضغط مختار على زر فتصاعدت القبة الزجاجية لتكشف القسم العلوي للمركب.

- أوقف نشاط المفاعلات وشغّل نظام الملاحة المغنطيسي.

- نظام الملاحة المغنطيسي يشتغل، أكد مختار.

- شغّل الصواري مع الأشرعة المغناطيسية!

خرج الهاريان الصاريان من الأنبار وانبسطت صفائح معدنية رقيقة كأشرعة وبفضل الحقل المغناطيسي للكواكب انطلق الباونت يسير دون استعمال وقود، مثل شراع يدفعه الريح.

شغّل نظام الالتواء يا أكبر!

شغّل أكبر الإواليّة التي بدأت تطلق صريرا.

انعكست الموجات الصوتية والضوئية الصادرة من الكرة البلورية بفعل كلّ المواد المتحرّكة في الفضاء القريب: كتل أوغبار أو غاز. إنها تلتقط بالأنابيب البرونزية يقوم مرسم الطيف بتحليل

الموجات وإثر ذلك ترتسم خريطة مجسّمة للمحيط الذي يتحرك فيه الباونت على شاشة فلّورية.

استدار سندباد صوب صديقه:

– تحرّك بمحاذاة نيغا وتوجّه إلى منقرة. احذر! يجب علينا أن نتفادى الاصطدام بالصخور التي تطفو!

بدا أنّ الأحداث قد تجاوزت ناد، وحتى يطمئنه سندباد، راح يريه السديم البعيد.

– ترى كومة الغبار والصخور تلك، إنها نيغا إنّها تشبه مجرتنا بفضل ذلك الشبه توجد الحياة في منقرة. لا يوجد من حول نيغا إلا غازات وغبار وحجارة تدور في الفراغ، كمضاد لإعصار ضخم يوزّع مادته في الفراغ ليبعث الحياة في موضع آخر.

– إذن هي مجرة في طريق الانقراض.

– نعم. لكن هذا لن يحدث في الغد. لكنها سيرورة وقد بدأت.

– ماذا يوجد في مركز هذا الإعصار الضخم؟

– يوجد نفق من خلاله يمر كلّ ملاحيّ الفضاء الذين يذهبون إلى منقرة والذين يريدون تفادي الاصطدام بالنيازك والشهب.

– ولماذا يجب أن نتفادى هذا النفق؟ سأل الداهية الصغير.

– هو السبيل الوحيد لتفادي نظام المراقبة بالسكنير الدقيق الذي تستعمله جمارك منقرة. إنّ السلعة التي جلبناها من الأرض حيوية لحل المشاكل التي تنتظرنا ولا نريد أن نخاطر بمصادرتها. مرورنا بمحيط منقرة، يجعلنا نواجه دون شك العواصف والأعاصير التي يمكن أن تسبب بعض العطب للمركب، وقد يفاجئنا على الأرجح أيضًا بعض القراصنة الذين يعج بهم الفضاء على امتداد نيغا... إن ما نفعله ليس الحلّ الأمثل ولكنّه الحلّ الوحيد.

تردد ناد في طرح أسئلة أخرى، استرعى انتباهه شيكو الذي حط في أعلى صاري المركب يتقصى الأفق كمراقب.

انتقل إلى القيادة اليدوية وخفض السرعة إلى ثلاث مائة عقدة! نصح سندباد.

– تمّ تخفيض السرعة إلى ثلاث مائة عقدة! أكد مختار.

انزلق المركب ببطء عبر ركام الحجارة، أدر المقبض بقدر 17.7 إلى اليسار!

– 17.7 يسارا!

– شغّل المسبار!

– المسبار يشتغل!

من أعلى الصاري، صاح شيكو:

– صخرة! صخرة!

كان نيزك ضخم، يتوجه بطريقة خطيرة نحوهم.

إلى اليمين كليا! الدافع إلى منتصف اليسار! أمر سندباد.

نفّذ مختاربسرعة، فحاد المركب بالكاد... ، لأنهم جميعًا شعروا بالجاذبية الممارسة من النيزك على المركب. لقد أنقذت ردود أفعال مختار الجيدة الطاقم من دمار أكيد.

– وجّه المقبض 30 درجة إلى الميمنة!

– 30 درجة إلى الميمنة!

– إلى الأمام ببطء ! خفّض السرعة إلى 10 عقد!

– السرعة 10 عقد!

– خفّضها إلى 5 عقد!

– السرعة 5 عقد!

واصل المركب التقدم بحذر ما بين أكوام الحجر. كان كل الطاقم يقظا ويراقب أي صخرة سيكون الاصطدام بها قاتلا.

– سحابة كبيرة! سحابة كبيرة! أنذر الببغاء.

شاهد أعضاء الطاقم بقلق كتلة حالكة وكثيفة تتجه بسرعة صوبهم من ناحية اليمين.

– شغّل المحركات! ضاعف السرعة إلى 400 عقدة! أمر سندباد.

– السرعة 400 عقدة!

– 800 عقدة!

– 800 عقدة!

نظر سندباد إلى الميمنة ولاحظ أن المركب ما يزال في مدار الإعصار الصخري.

– ضاعف السرعة.

– السرعة 1600 عقد.

– واصل التسريع.

– بلغنا السرعة القصوى، يستحيل تشغيل الدافع دون المخاطرة بالاصطدام بالصخور!

إذًا شغِّل مغير السرعة لنفقد شيئا من الارتفاع! اشترط سندباد كآخر سبيل.

– الخافض تحت 30 ذراع! أكد نوتي الإشارة.

– حافظ على هذا الاتجاه وهذه السرعة وادع الله حتى يساعدنا على مغادرة مدار هذا الوحش.

– إنّه على ألفي ميل بحري منا ويلزما ثلاثة آلاف ميل بحري لا أقل للخروج نهائيا من مجاله قال مختار.

واصل المركب سابقه المجنون ضدّ عاصفة الحجارة والغبار المرعبة، عندما لحق بهم امتص إعصار ريح المركبَ داخل سحابة كثيفة من الغبار.

– ليختبئ الجميع في مأمن! صرخ سندباد.

سمع الصوت المصم للذبذبات التي هزّت جوانب المركب وزعزعت بصورة خطيرة الصاري المركزي. التصق أعضاء الطاقم بالجانب الخارجي لتجنب عصف الرمل والحجارة هذا.

فجأة انهار الصاري الرئيسي محدثا قرقعة كبيرة.

في الحين، خيّم هدوء. نظر الطاقم بدهشة إلى التلف الحاصل.

– لقد نجحنا بقليل في الخروج من مجالها، والحمد لله، قال سندباد مواسيا.

قدّم أكبر تقريرا حول حالة المركب، وأكّد:

– أصابنا تلف كبير، انكسر الصاري الرئيسي ، وتحطّم شراعان مغنطيسيان ، وتضرّرت دفة المركب الخلفية!

– كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ. سنصلح الأضرار في ميناء ملاكو، قال سندباد.

توجّه إلى مختار.

– شغّل القيادة الآلية مستعملا فقط الشراعين المغناطيسيين اللذين بقيا لنا وحافظ على الاتّجاه نحو منقرة:!

خرج المركب نهائيا من الاضطرابات، وهو الآن يتقدم بهدوء صوب مقصده. غرق أعضاء الطاقم المنهمكين في نوم عميق.

– ملاكو! ملاكو!

صاح شيكو من أعلى الصاري. خفّف الخبر السار الوطأة على الطاقم. كانوا بين اليقظة والنوم، نظروا وهم يفركون الأعين إلى رتل من المراكب الشاحنة تغادر النفق الذي كانوا هم أنفسهم فضلوا الالتفاف حوله.

لحق الباونت بالرتل الذي دخل بنظام دقيق ميناء ملاكو، الممرّ الوحيد للوصول إلى منقرة.

وضع أكبر يده على كتف ناد الذي كان يتفرّج بدهشة على المنظر الغريب المحيط به.

– ملاكو هو الميناء الوحيد لمنقرة، لكنه الأكبر في كل المجرة.

نظر ناد إلى المراكب المحملة بالسلع، المرصوصة على عدة طبقات وقال لأكبر:

– لا يشبه تماما ميناء البصرة.

انطلق صوت جاف ومتقطّع من راديو مركز القيادة:

– هنا برج مراقبة ملاكو، حدّدوا هويتكم!

– نحن تجار متجولون وقد تعرضنا لأضرار أجاب سندباد.

– ما طبيعة سلعكم؟ أكد الصوت.

– ليس معنا بعدُ، جئنا لنأخذ، أجاب سندباد.

– طيب، خذوا الرصيف رقم 23 من أجل إصلاحاتكم، رقم 117 من المسلك 45!

– شكرا!

مرّ المركب بأرصفة كثيرة مربوطة بمسالك مرصوفة فوق بعضها البعض.

– ها هو الرصيف 23، أشار أكبر لمختار الذي أدار المقبض يدويا.

– لا بدّ أنّ الطريق 45 في الأسفل. شَغِّلْ الخافض، طلب منه سندباد.

تدحرج المركب مئات الأمتار نحو الأسفل، ومرّ بمحاذاة ممر حتّى بلغ الرقم 117 واصطف.

– أوقف المحركات! أمر سندباد.

– المحركات متوقفة! أكد مختار.

– شغّل حبل المراقبة المغناطيسي!

– حبل المراقبة شغّل!

– ثبّت المركب في الأمام.

– الشيء نفسه بالنسبة للحركة الخلفية!

– توقف المركب تماما بالطول وبقي معلقا في الهواء.

أفّ! تنهد مختار.

قبل أن يلتقط أنفاسه، توقفت مركبة فضائية بمحاذاتهم.

نزل رجلان بلباس عسكري، يتبعهما خمسة آخرون يلبسون دروعا، نظرتهم جامدة، متصلبين كتماثيل من مرمر. وقف ثلاثة عساكر، ببزة المعركة وبخوذات معدنية. يحرسون فوق الجُسير، أصابعهم على الزناد، وهم مستعدّون لإطلاق النار.

تقدّم الذي يحمل شريطا على صدره وعلى الخوذة:

– مراقبة.

– بقي الطاقم صامتًا.

– من هو قبطان هذا المركب؟

– أنا، قال سندباد.

– من أين جئتم؟

– نحن مهاجرون.

– ما الغرض من زيارتكم؟ سأل الضابط بنبرة شديدة.

– نحن تجار متجولون جئنا نشتري مختلف منتوجات منقرة. أجاب سندباد.

– حسب حالة مركبكم، لا بدّ أنكم تفاديتم النفق! ماذا تخفون؟ قال بنبرة محقق.

– لا شيء، تفادينا النفق تجنّبًا لضريبة المرور... تعرف نحن المهاجرين لا نوفّر إلاّ بالكاد حاجياتنا، بهذا برأ سندباد نفسه.

أعطى الرجل الأمر لرجاله بتفتيش المركب. بعد لحظات صعدوا من العنبر وهم يشيرون بالنفي لرئيسهم ثم توقفوا. أمرهم بالصعود إلى مركبهم، ثم توجّه نحو سندباد:

– من الآن فصاعدا، سيكون ممنوعا على مثل هذا الحطام الرسوّ في ميناء ملاكو! وكل الذين يتفادون النفق، وخاصة أنتم المستأصَلون والمهربون سيكون حسابهم معي!

لحق بالآخرين على مركبته وانطلق فجأة.

أووف! تنفس مختار الصعداء.

توقّف مركب آخر بجانبه. على متنه شاب يرتدي زيا عجيبًا، وعلى رأسه خوذة موصولة بأنابيب في

ظهر سترة رمادية من فولاذ. يضع جهازًا بصريًا للتصويب على العين اليمنى، يعطي انطباعا أنه ضائع تماما. وهو ينظر إلى المركب.

– واه قطعة متحف حقيقية! قال بنبرة ساخرة، لكن بتلقائية، وهو يلامس خشب تلبيس المركب. هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها واحدا بأم عيني! صاري السفينة عمودي، ستار مغناطيسي، هيكل خشبي كليا، واه إني أهذي! بعد ذلك اتجه صوب مختار وسأله:

– أنت هاوي مجموعات؟

– لا، لماذا؟

– لديك هنا جوهرة نادرة. رائعة!

– آه صحيح؟ تعجب مختار. ومن تكون؟

– أنا المصلح، قيل لي أنكم تعرضتم لعطب. ما هي مشكلتكم؟

– آه صحيح؟ تعجب من جديد مختار.

– ما هي مشكلتك؟

عندنا صاري السفينة وشراعان، ومقود يجب تعويضها.

تعويضهما! هل أنت بخير؟ أين سأجد قطعا من هذا النوع؟ حتى في متحف منقرة لن تجدوها.

– إذًا ماذا يجب أن نفعل؟

– تبيعونه لي!

– حقا، ألا توجد وسيلة لتصليحه؟

– تصليحه ممكن، لكن تغيير القطع، لا!

أكّد الميكانيكي المتمرّن. أصلحه بكل سرور وإذا نجحت، فإنّ أصدقائي لن يصدّقوني.

بينما كان مختار يتفاوض مع المصلح الشاب، لاحظ جنودًا يسحبون رجلا من قدميه.

دعوني! أنا بريء، صرخ هذا الأخير بقوة.

صعقه جندي بصدمة كهربائية بواسطة قضيب صغير معلق في حزامه.

ثمّ ألقى به بلا رحمة في مؤخرة العربة.

أما رفيقه الذي حاول الفرار عبر الرصيف، فقد تعرّض لوابل من الرصاص وسقط في الفراغ.

على الرصيف نفسه، على بعد خطين في الأمام كانت عربة عسكرين أخرى تقوم بعمليات التفتيش نفسها والتي انتهت بقتل ثلاثة فارين.

دار المشهد على مرأى من سندباد وأصدقائه العاجزين عن فعل أيّ شيء.

– ماذا هناك؟ ماذا فعل هؤلاء الأشخاص؟ سأل سندباد المصلح الشاب.

– لا أعرف لكنّني اليوم أجد أن مصالح الأمن منفعلة كثيرا، ربما يرجع السبب إلى توقيف الأميرة زهرة.

– ماذا؟ الأميرة زهرة اعتقلت؟ صرخ سندباد وهو يشعر بالدم يتجمد في عروقه. أسـ.سـ.س! لا تتكلم هكذا بصوت عال! يمكن أن يسمعونا. وشوش الميكانيكي.

– متى اعتقلوها؟ سأله سندباد بصوت منخفض.

– منذ يومين، هل تعرفونها؟

– لا ليس بخاصة، سمعت كلامًا عنها كبقية الناس.

– أنصحك بأن لا تذكر اسمها فقد يسبّب لك ذلك مشاكل، نصح الشاب.

– شكرا على النصيحة، لكن أرجوك بان تصلح المركب بسرعة!

– حسنا، سأرى ماذا أستطيع أن أفعل!

ثمّ توجّه إلى مختار:

– هه أيّها الجدّ هل نبدأ بالدقّ على مركبك؟

جمع سندباد رفاقه حتى يعطيهم التوجيهات.

– سنذهب أكبر وأنا إلى منقرة، بينما أنت يا مختار أعمل على أن يرتاح ناد وشيكو، واسهر على تصليح المركب بسرعة وكن خاصة يقظا.

تخطى سندباد وأكبر حافة المركب ليجدا نفسيهما فوق بساط نقال أخذهما نحو برج طويل من معدن وزجاج. هندسة ميناء ملاكو هي في الوقت نفسه فريدة ومدهشة. توجد أبراج عالية عند نهاية كل مرفأ تربط كل الأرصفة ببعضها البعض. تقطعها من جهة إلى أخرى أنفاق زجاجية. ويداخل هذه الأبراج تتم مراقبة شرطة الحدود. عندما يُتَجاوز هذا النظام يركب العابرون مصعدا حتى قمة البرج. هناك توجد محطة تربط الميناء بمنقرة، ويمكن للمسافر أن يختار بين مركبة نقل جماعي أو سيارات صغيرة. أمّا الغرباء الأثرياء والوجهاء المحليون فيستعملون مركباتهم الخاصة يسوقها أحيانًا ربّان مختصون.

تُنقل السلع بمراكب شحن أسفل البرج.

آثر الصديقان التاكسي الفضائي. ويمجرّد أن جلسا على الكرسيين الخلفيين، قال أكبر، الذي كان يبدو متضايقًا: مفاجأة سيئة، الأمور تتعقد. ماذا يجب أن نفعل؟

– نقرر في منقرة لإيجاد وسيلة لتخليصها قال سندباد.

– كيف يمكن لسلطة منقرة أن تمس بوجيهة مثل الأميرة؟

– إنّ استقلاليتها وحيادها المفترض جعلا من

منقرة ملتقي طرق لا يمكن تفاديها في التجارة البينجمية. تُقصد من كل جهة وحتى من كواكب بعيدة، إنّ منقرة تحت سلطة باسطران، بارون وضع نظاما شموليا يرتكز على القانون العرفي حيث لا يمكن لأي مبادرة سياسية، اجتماعية أو فنية أن تكون خارج الماهون.

– وما هو الماهون؟

– الماهون اتحاد يتكون من مائة شيخ يمثلون كل النظام البينجمي لطريق نيغا وكذلك كواكب بعيدة أخرى. أغلبية أعضاء الاتحاد يعينهم المرعب شاقور الذي يحكم بلا شريك كل المجرّات.

– ألا تستطيع الأميرة أن تدافع عن نفسها أمام المجلس؟ فباسطران هو على كلّ حال نبيل.

واحسرتاه! إنّ الطاعة العمياء من أغلبية الأعضاء لشاقور قد أضعفت بشكل واضح صلاحيات باسطران ونفوذه في منقرة.

– لماذا إذًا لا زال أصحاب المقامات يحافظون دائما على ألقاب نبلهم؟

– شاقور جد ماكر. فهو من اجل ضمان تنصيب نفسه مستقبلا إمبراطور على الكون، سيحتاج إلى دعم النبلاء لتزكيته.

– هل تسمي هذا نبلا؟ يا له من لقب، أسمّي هذا خضوعا!

– قديما، شرح سندباد، تحت سلطة الحكيم جمان، كان النبلاء يلعبون دورا هاما في تقارب الشعوب. كانت كل كواكب نظام نيغا معنية. كانت حتى الشعوب الخارجة عن النظام تخضع لهذا التأثير. كانت التجارة منظّمة بشكل عادل ودون تمييز من أي نوع. كان صوت الضعفاء يساوي صوت الأقوياء عندما يتعلق الأمر بأخذ قرار يمس مستقبل الإنسانية. كان لهم الحق نفسه في المعارضة، كان مجلس الأمن محايدًا ويحلّ تقريبًا كل النزاعات بطريقة سلمية.

كان جمان والمجلس الحكيم يُخفون اكتشاف علمائهم الفيزيائيين والفلكيين لكوكب أطلق عليه اسم باهية. ويبدو أن كوكب باهية توأم كوكب الأرض. قديما، فرّ سكانه منه بعد أن خربوه نهائيا. انقطعت الحياة فيه نهائيا. منذ ذلك الحين، حُكم على السلالة البشرية أن تهيم على وجهها في الفضاء، سمحت لهم طريق نيغا ومجموعة نجومه بالعيش مؤقتا، مع علمهم أنها مجرة في طريق الانفجار. لم يُرد جمان ومجلسه إشاعة الخبر قبل وضع ميثاق، كان يجب أن يوافق عليه كلّ من يرغب في الذهاب إلى باهية.

– ما الأمر الهام الذي كان يحويه هذا الميثاق؟

كانت أسسه مبنية على نزع السلاح كليًا من كلّ الفدراليات والاستعمال العقلاني لتكنولوجيا موجهة لما هو مفيد فقط حتى لا يتكرر أي من الأخطاء التي ارتكبت في الأرض على هذه الأرض الجديدة المستقبلة.

– يا له من قرار حكيم، علّق أكبر الإفريقي مستحسنًا.

– لسوء الحظ، جاء بشاقور.

– من هو شاقور؟

– مخلوق شرير بقدرات خارقة، اغتال جمان العظيم، وأباد مجلس الحكماء ليحل محله الاتحاد الحالي المرتشي، وقد تمكن بهذه الطريقة من فرض ديكتاتوريته الحديدية على كل الكون. وقد التحق النبلاء، الذين يتجاذبهم وضعهم المتميّز ورغبتهم المفرطة في الإثراء، التحقوا بالطاغية. وكان باسطران من هذه الطغمة.

– استتسلام كلي!

إنّ المقاومة الوحيدة التي تواجه شاقور هي مقاومة الأميرة زهرة، ابنة الباسل جمان وبعض الأوفياء المخلصين لها جسمًا وروحًا. زهرة هي الوريثة الشرعية للميثاق. إنّ مهمة إيصال البشر المطّهرين من الشر إلى باهية تعود إليها قانونًا. كلّ

هذا مسطّر في الميثاق بختم الحكماء. ويسعى شاقور إلى استرجاعه وإتلافه بأي ثمن!

– ألاّ تجد زهرة دعمًا من السكان؟

– بلى، تقع أحيانا بعض حركات التمرد هنا وهناك، لكن الانتقام متوحش إلى درجة أنه ثبّط عزائم العديد من محاولات التمرّد.

– سِند، أنت أفضل صديق لي، تبعتك دوما حيثما ذهبت، لكن هذه المعركة إلى جانب الأميرة هي أيضًا معركتي. سأخوضها خاصة من أجلي.

– شكرًا أكبر!

من المركبة الفضائية، شاهد سندباد وأكبر أكبر كوكب في المجرة. ما من شمس تضيء هذا الكوكب، النور الوحيد الذي تتلقاه يأتي من توهج نجمة اسمها فيدا، تعكس الضوء.

رمادية وبلا روحٍ هي منقرة. شغل الإسمنت، والزجاج والمعدن كل فضائها. وإلى مظهر المدينة الرمادي والبارد ينضاف تواجد الطوافين بتروسهم السوداء.

– نحن في منقرة! أعلن سائق السيارة.

– أنزلنا عند سيستراف، اقترح سندباد.

السيستراف مكان لقاء وراحة، يستقبل زبائن غير متجانسين يشترون ويبيعون كل شيء. وقد جرت العادة أن تكون المفاوضات حول شيرما، رحيق مهلّس ذي مزايا كبيرة. دخل سندباد وأكبر الحانة وجلس إلى طاولة في الخلف بعيدا عن الطاولات الصاخبة.

– شيرمان للسيدين؟ طلب النادل.

– لا، ليس شيرما! عندكم شيء آخر؟ سأل بدوره سندباد.

– لا شيرما؟ أنت مخطئ لأنك لن تجد أحسن منها في منقرة!

– لا شكرا، نريد شيئا آخر، أكد أكبر.

إذن أقترح عليكما كرومسين طازجين، وصلا مباشرة من جَسْدَه.

– أوافق على الكرومس، ختم أكبر.

أخذ النادل الطلب وعاد بعد لحظات بعلبتين مغلقتين، وضعهما على الطاولة.

– شهية طيبة يا سادة! تمنى لهما هذا الأخير.

– قل يا صديقي، ألا تعرف أحدا يدعى ماندل؟ سأل سندباد.

– لا، لكن أعرف أحدا يستطيع أن يدلّك على كلّ الناس!

– نود لقاءه، قال سندباد.

اختفى النادل بين الجمع أمَام نظر الرجلين. وكان أكبر الذي يتضور جوعًا، قد اعتدل في جلسته ليتذوق ما طلبه. وما أن رفع الغلاف، حتّى قفز الرفيقان. فقد انبعثت رائحة كريهة من محتوى العلبة. فأدارا رأسيهما مأخوذين بغثيان لا يُحتمل.

– أف! إنه كريه! صرخ أكبر وهو يغلق العلبة.

غرباؤنا ليسوا من هواة اللحم الطيب. يبدو أنكما لا تستسيغان هذين الكرومسين!

جاءت الملاحظة من رجل ذي مظهر خشن قوي.

– هذا صحيح أجاب سندباد، بوجه ما يزال متغضنًا من التقزّز.

– أنا دُورَا عين منقرة وسمعها. تريبو النادل قال لي أنكما تسألان عن ماندل.

– هذا صحيح، نحن أصدقاؤه ونريد لقاءه، أجاب سندباد آملا أن يطمئنه.

– أصدقاؤه؟ أعرف كل أصدقائه، لا أعرفكما، قال البدين بنبرة شك.

– نحن تجار وعندما نكون في منقرة لا نتعامل إلا مع ماندل، أكد سندباد.

– ما اسمك؟ سأل الرجل.

– سندباد! قل له فقط سندباد.

– هذا من باب الحيطة، أنت تعلم مع الظروف السائدة... أضاف الرجل محرجًا. هُوْ! سيكلفك هذا زورطان.

أخرج سندباد كيس نقوده، وأعطاه قطعة صغيرة مذهّبة.

– احتفظ بالكل.

– ذهب! ذهب! صاح البدين وهو يعضّ القطعة الذهبية بأسنانه. حسنا. سأذهب لأقول لمندل أنك هنا وسيستقبلك.

وهو ينهض، فتح علبة الكرومس وأخذ دودتين لزجتين وابتعلهما أمام سندباد وأكبر المتقززين.

– ليس من اللائق الاستخفاف بمثل هذا الطعام الطيّب! أضاف وهو يغادرهما.

حالما ابتعد دورا البدين، اقترب منهما شاب نحيل منهما وهمس.

– أنت سندباد البحار؟ أنا أعرف عما تبحث، ماندل اعتقل مع الأميرة زِهرة. غادرا فورا سيستراف، دورا سينصب لكما شركًا.

لم يكن لسندباد وأكبر الوقت الكافي ليطلبا شرحا، فمن آخر القاعة، كان دورا يعينهما بالإصبع لمجموعة أقوياء مدججين بالسلاح.

– فات الأوان! لاحظ النحيف.

تقدّم عشر غوريلات واخترقوا بعنف الجمع المرصوص حول المشرب.

– سيحمى الوضع! قال أكبر.

نهض سندباد فجأة دافعا المقعد إلى الخلف.

قفز أكبر كالفهد من فوق الطاولة ووقف بجانب سندباد في وضعية قتال في وجه المعتدين.

هجم الأول كالثور على سندباد. تجنب هذا الأخير الهجمة بأن انحنى إلى الوراء بجذعه. وارتكز على ساقه اليمنى، ووجّه ضربة عنيفة بركبته اليسرى، ضربة حادّة أسفل بطن الغوريلا الذي انهار. أما أكبر الصلب كالجلمود والخبير في الفنون القتالية فقد اوقف هجمة المنقض الثاني بأن أدخل ساعده تحت إبطه. وجذبه نحوه جذبة سُمع لها طقطقة ناحرة المهاجم.

– احذر، إنهم قادمون بأعداد كبيرة، صاح سندباد وهو يتخلص من معتدٍ آخر بضربات متواصلة مذهلة.

– لنتراجع! صاح أكبر، محاطًا بثلاثة خصوم دفعة واحدة بينما كان رابع يطوّقه بذراعيه بقوة من الخلف. استعمل أكبر واحدا من الثلاثة الأوائل كركيزة ليرفع رجله ويركل المواجه له. مستغلا إلى

أقصى حد لحظة جموده، ثمّ ضرب بقفا رجله معتديًا آخر كان في مساره، وفي أثناء الحكة نفسها أصاب نعله منطقة حساسة من جسد الوحش الذي خلفه والذي أرخى قبضته في صرخة مختنقة. ثمّ تمكّن وهو مقرفص في وضعية "يوكو – أمبي – أوشي، من تسديد ضربة مرفق جانبية في أسفل بطن الرابع الذي أنهار.

أنّهما خبيران في المصارعة دون سلاح، هاجموهم بأسلحتكم! أمر البدين دُورا.

تفرّق الجمع الذي كان مسمّرا ومفتونا بطريقة صراع الصديقين، تفرقوا بشكل فوضوي وخلقوا هلعًا في القاعة.

– يهاجموننا بالأسلحة!

– أصبحوا أكثر عدوانية! ردّ أكبر.

خلت القاعة بسرعة إلا من ثمانية شركاء مسلحين بسيوف وفؤوس ومطرقات ضخمة. شكلوا دائرة حول المتصارعَين اللذين أسندا ظهريهما لبعضهما حتى يحتميا بالتبادل. استلا حساميهما من غمديهما المقلدين بظهريهما وشرعا في ضرب من الرقص الشعائري الرشيق. بهذه الطريقة لا تفوتهم أدنى حركة من خصومهم.

الملاحظون القلائل الذين وصفوا المشهد فيما بعد وجدوا صعوبة في شرح كيف أن رجلين فقط

استطاعا، بثلاث أو أربع حركات منسقة، أن يلقيا بثمانية أرضًا.

بقي سندباد وأكبر لحظة في وضعية ثبات وسط أجساد فاقدة الوعي.

– ابتعدوا! ابتعدوا! دعوني أمر! صرخ دورا محاولا فتح طريق للهروب.

فجأة اقتحمت القاعة كرة معدنية تشبه كرة "الركبي" وتوقفت فوق الجمع، شغلت عدسة تشبه عينا زرقاء، كسحت المشهد بزاوية 180 درجة ثمّ دارت حول نفسها واختفت.

في هذه اللحظة، تعالت صيحات من الجمع:

– الدْرون! العساكر!

– احذروا! العساكر قادمون!

سدت دورية طائرة باب الخروج وتموقع عساكر في وضعية هجوم، وهم يحمون ضابطهم الذي دخل إلى قاعة سيستراف.

– متمردون! متمردون! أمسكوا بهم! صرخ دورا باتجاه العساكر.

– أي متمردين؟ سأل قائد الدورية.

– ها هما! هذان الاثنان هناك! يبحثان عن ماندل! لقد حطّما كل رجالي!

سأل الضابط سندباد وأكبر:

– هه! أنتما الاثنان، تعالا إلى هنا!

كان المتصارعان متردّدين، فلم يتحرّكا واستمرا في متابعة أدنى حركة من العساكر.

نجحا تحت وابل من الرصاص، في بلوغ مخرج النجدة أين كان يحثّهما صديقهما الجديد.

– بسرعة! من هنا، اتبعوني!

كان النحيف الذي حذرهما من الشَرَك يشير إليهما من نهاية جسر ضيق صغير.

لم يتردّد الصديقان لحظة في اتباعه ومنذ الحركة الأولى بدأ الجنود بإطلاق النار.

بسرعة! بسرعة! مع العساكر لن يكون لكم أي حظ، إنهم كثيرون... مدججون بالسلاح ومدربون جيدًا! شرح لهم صديقهم الجديد بمجرد ما تجاوزوا مخرج النجدة تحت طلقات العساكر الكثيفة.

مرّ الفارون الثلاثة بسرعة بمحاذاة رواق ضيق.

– يجب أن نصل إلى فتحة الإفراغ قبلهم وإلا سيفوت الأوان.

من هنا! إلى التوصيل الثاني! وصلنا تقريبًا!

أخذ الرجال الثلاثة يمينًا عند المفترق التالي أين أوقفتهم فورًا أرمادا من العساكر الذين كانوا ينتظرونهم بأسلحتهم الموجّهة إليهم.

– ضعوا أسلحتكم، انتهيتم!

نظر سندباد وأكبر لبعضهما نظرة تواطؤ. شغلا درعيهما المغناطيسيين اللذين لا يتأثران بطلقات رشاش ليزرية. استلّ سندباد سيفه الصلب صلابة الماس وأعطى لنفسه دفعًا دائريًا أحدث زوبعة داخل صفوف الجنود، كانت ضرباته دقيقة، دقّة العملية الجراحية، لم يترك إمكانية لمهاجميه للتصدّي لها. وإذ أبصر تشتّت العساكر بفضل تلك الطريقة الغريبة في القتال، اغتنم "أكبر" الفرصة واقتحم الجمع للقيام بعمليّة تنظيف بحسامه. وصل طوافون جدد لمساعدة العساكر وبدأوا في التصويب نحوهما من مركباتهم.

– تعالوا، الباب الأرضي مفتوح! بسرعة، اقفزوا! صاح فيهم النحيف.

نظر أكبر داخل الباب الأرضي، لكنه لم يرَ إلا السواد، عندئذٍ وثب الشاب هو الأوّل ليمنحه الثقة.

– سأنطلق! اتبعوني!

تبعه أكبر وسندباد وألقيا بنفسيهما بدورهما في الفراغ، تساءلا وأعينهما جاحظة ونفسهما مقطوع، إن لم تكن تلك نهاية مغامرتهما.

من تحتهما، اقتربت نواة نارية ضخمة بسرعة مدوّخة، أغلقا أعينهما لحظة قبل أن يصطدما بنوع من الأفرشة الهوائية.

على عمق مائة متر خففت مِزلقة سقوطهما وحادت بهما عن مسارهما. انزلقا دون أيّة سيطرة مدة بدت لهما أبديّة.

أخيرًا خفّض محوّل سرعتهما الجنونية، ووجدوا نفسيهما بأعجوبة بخير، جالسين على أدبارهم.

– مرحبًا بكما في قلب منقرة!

لم يكن لدى سندباد الوقت الكافي ليتحقّق من مصدر الصوت، حتّى مُدّت له يد لتساعده على النهوض.

– سعيد بمعرفتك، يا سندباد! أنا تشوفسكي، صديق حميم للأميرة زهرة. وأنت، أراهن أنّك المحارب الكبير أكبر.

بارتياب نظر الصديقان المتأثّران بالأحداث التي عاشاها إلى هذا الشخص الجديد.

آسفون، لا نملك مصعدًا مريحًا لاستقبالكم كما يستأهل مقامكم، علّق متهكّمًا.

علّق سندباد مازحًا:

– لقد رأيت رافعات أحمال أبطأ منها.

– لاحِظ، إنّها وسيلة حمايتنا الوحيدة. في حالة ما إذا دخل أناس سيئو النيّة، لا نُشغّل المِزلقة فيتناثرون حتّى قبل أن يصلوا إلى نواة النّار.

– إنّها وسيلة دفاع فعالة، لكن قل لنا كيف تعرّفتم علينا؟

– انتظرناكم منذ مدّة، لقد وضعنا مراقبين في منقرة ليستدلّوا عليكما ويساعدوكما عند الحاجة. لقد بدأنا أنا والأميرة زهرة نفقد الأمل عندما لاحظنا عدم التحاقكما.

– لقد عملنا ما بوسعنا حتّى نصل في الوقت المحدد، أكّد ذلك سندباد.

– كانت مؤمنة بوعدك، لكنّها خافت من فشلكما في الانتقال ربّما لعطب في الدوامة؟

– لا، كلّ شيء جرى بنجاح.

– هذا التأخّر جعلها قلقة، وخاطرت بدون روية عندما انتقلت هي نفسها لتشرح وخاصّة لتجعل المقاومين الأوفياء يصبرون. كان يجب تفادي شنّ الأعمال الحربية ضدّ عساكر شاقور، لأنّ المعركة ستغدو حينذاك غير متكافئة، زد على ذلك أنّ الانتقام الذي قد يسّلطه هذا المتوحش على الشعب سيكون فظيعًا.

– وكيف بلغت حدّ الإيقاع بنفسها؟

– لقد ذهبت مع شان عند ماندل ليطلبوا منه أن يصبح مدّة هذا التحوّل، الرقيب الرسمي للميثاق وضمان بقاء التماسك بين مختلف رؤساء العروش.

بعض القادة الذين كانوا يستجدون صراحة اعتراف وامتنان باسطران، وخاصّة شاقور، اغتنموا الفرصة خانوها.

– هؤلاء القادة هل أعلنوا أنّهم منشقّون عن المقاومة؟

– لم يملكوا طبعًا الشجاعة ليخونوها جهارًا. لكنّهم سرّبوا خطّ سير الأميرة لدورا مُخبر منقرة، بهذه الطريقة، بقوا دومًا في أعين رؤساء العروش التي ينتمون إليها قادة كبارًا متمرّدين. في الحقيقة، الشيء الوحيد الذي كان يهمّهم هو الربح السهل، والمتاجرة ومختلف أنواع التهريب مع القراصنة.

اللؤماء! كم أنت ساذجة أيتها الأميرة زهرة! تخاطرين بحياتك من أجل غادرين!

– كانت الأميرة تعرف ذلك جيدًا، لم تكن تناضل من أجل قادة العشائر المرتشين، لكن من أجل سعادة شعبها الذي يعرف كيف يردّ لها ذلك.

– شان هو الآخر مسجون؟

– وحده استطاع أن يواجه عدّة سريّات. ثمّ استسلم طوعًا، حتّى يبقى بقرب الأميرة.

– وما الخطر الذي يمكن أن تتعرّض له الأميرة؟

– باسطران يريد أن يحاكمها أمام الماهون، لكن شاقور طالب بأن يبعثوها له.

– ولِمَ يريدها شاقور؟

– يريد الزواج منها.

– الزواج منها؟ لكنّه ليس حتّى إنسانًا، إنّه وحش، شيطان.

– أعرف؟ حتّى وإن سيطر على كلّ المجرّة وملك مفتاح باهية، فإنّه يحتاج إلى الشرعية وسيحتاجها دومًا. لكنّه إذ يصبح زوجًا للأميرة زهرة، فإنّ لك يمنحه قدرًا من الشرعية لا يمكن أن يأمل الحصول على ما هو أكثر منه.

– لكن أبدًا لن تمكّنه من ذلك!

– هذا بالضبط، ما نخشاه فقد تضع حدًّا لحياتها إذا فقدت الأمل. سيتخلّى الشعب عندها نهائيًا عن النضال، وسيؤمن أن قدره ختم وسيغرق في الأحزان.

– إنّ إنقاذها بسرعة أمر إلزامي. قال سندباد.

– نعم هذا ضروري.

– هل لديكم خطّة؟

قبل أن يخبرنا الميكانيكي الشاب مارك بوصولكما إلى ميناء ملاكو، كنّا أعددنا خطّة.

آه، هذا الشاب المصلح الخفيف الروح هو واحد منكم إذن؟

قال أكبر.

نعم... قلت رغم خضوعه، فإنّ باسطران سيقاوم حتّى لا يسلّم الأميرة إلى هذا التعيس الأرعن. لكن سيخضع في نهاية المطاف، لأنّ شاقورًا يهدّد بتحطيم منقره إذا لم يحصل على ما يرضيه.

– عندئذٍ؟

– سيبحث باسطران عن تسوية لإنقاذ الكرامة، سيجعل الأميرة تمثل أمام محكمة الماهون التأديبية، وهو يعلم أنّ كلّ أعضائه مرتشون وهم يعملون لصالح شاقور. وهكذا فإنّ كلّ شعوب نيغا سيقولون إنّ الماهون هو الذي سلّم زهرة وليس باسطران، عندئذٍ سيخرج رابحًا.

– هذا يعطينا الوقت لنستعدّ، قال سندباد.

– تمامًا وهذا يعطينا أيضًا حظّين للتدخّل، واحدًا في الماهون والثاني في المركبة عند ترحليها.

– هذا معقول.

سنحاول في المركبة أن ندس بعض رجالنا. سنحضّر هجومنا مع صامت، وهو مقاوم كبير، موجود في سلطة منقرة التنفيذية، والذي لم يره أحد إلى يومنا هذا.

الهندسة الداخليّة لقاعة الماهون تذكر بصحن مقعّر أو بقدح كبير. مقاعد الأعضاء لها شكل صحن

صغير. هم يتموضعون حول دائرة مضاءة مركزية ويستطيعون التنقّل حتّى الوسط عندما يُحرّكون لتناول الكلمة.

في ذلك الصباح، لم يكن هناك مقعد شاغر في الماهون، الضوضاء المعتادة تركت المكان لصمت جنائزي. فالأمر لا يتعلّق بجمعيّة عادية، الشيوخ يلزمهم محاكمة الشخص الأكثر تأثيرًا، والمحبوب أكثر من الجميع في كلّ المجرة: الأميرة زهرة.

– أدخلوا السجناء! أمر باسطران، الذي يترأس الماهون.

في مركز الدائرة المضاءة، انفتح باب دائري أرضي ليخرج منه ضرب مكبس زجاجي مقعّر بداخله كانت الأميرة زهرة مع شان وماندل. اختفى حاجز المكبس البلوري في الباب الأرضي، وعوّض بعدّة حلقات ضوئية تنزلق من تحت إلى فوق، تعطي انطباعًا بأنّ المساجين يغوصون في الأرض من جديد.

قاطع باسطران من جديد الصمت الثقيل وأمر تابعًا واقفًا على يساره أن يتلو عناصر الاتهام.

– المساجين متهمون بالإخلال بالنظام العام، بالعصيان ضدّ قوات الأمن، بالتحريض على العنف، بالخيانة تجاه الاتحاد، بزعزعة الاستقرار في التجارة البينجمية، بالاتجار بالنفوذ، بالانشقاق عن الرابطة!

إنّهم متهمون أيضًا بترويج دعاية كاذبة ونشرها في الشعب. سعيًا لإقناعهم بأنّها تملك على حدّ زعمها ميثاقًا مصدّقًا ذكر فيه أنّ الأميرة المزعومة يجب أن تقود الشعوب المطهّرة صوب كوكب يزعمون أنّه توأم أرضنا التي بادت، تدعى باهية!

خيّم صمت ثقيل بعد قرار الاتهام.

– يا مساجين، بِمَ تردّون على هذه الاتهامات؟ سأل باسطران.

– التزم المساجين الصمت ممّا أثار حفيظة باسطران.

– يا مساجين! أمركم بالردّ!

كانت الأميرة شاردة الذهن وكأنها لم تسمع هذه الإنذارات.

– للمرّة الأخيرة، أطلب منكم الردّ على أعضاء الماهون، وإلا ستفاقمون وضعيتكم وكذلك وضعية رفقائكم!

وقفت الأميرة بتوان، وأمعنت النظر في الحضور وقالت بهدوء.

– لا أعترف بأعضاء هذا الماهون! ليسوا منتخبين، وهم إذن لا يمثلون شعوبهم.

حدثت ضوضاء كبيرة.

– كذب! افتراء! صرخ أعضاء الماهون.

– لقد شتمت الشخصيات الأكثر جدارة بالاحترام في مجرتنا، وأطالب بأن تقدّمي لهم اعتذاراتك!

– استدارت بهدوء وصوّبت أصبعها نحو باسطران، وقالت:

– أنت باسطران، أنت فيما مضى، في زمن أبي ومجلس الحكماء، كنت فارس فضاء كبير. أأنت من يطلب منّي الآن أن أبرّئ نفسي أمام هؤلاء المستبدين الذين حادوا عن طريق العدالة من أجل مصالحهم الخاصّة!

– لكلّ زمن متطلّباته، أجاب باسطران بخشونة.

– يا له من مشهد مرعب! علّقت الأميرة بسخط.

حدثت ضوضاء أخرى أرغمت باسطران على فرض السكون من جديد في الماهون.

– سكوت! سكوت! أرجوكم حافظوا على هدوئكم!

أعطيت الكلمة لأحد أعضاء مجلس الشيوخ الذي نفذ صبره بوجه خاص. شغل زر المسند فاندفع بمقعده حتّى مستوى الحلقات الضوئية. ودون توقّف عن التحديق بالمساجين، دار عدّة دورات من حولهم وقال بنبرة ساخرة ومتكبرة:

– لا يدهشني بتاتًا مثل هذا الكلام الصادر من هذه المحرّضة المغامرة، لأني أعرف مشاعرها الانتقامية

تجاه المجلس الجديد! غير أنّ ما يخيّب أملي أكثر في هذا المشروع الأسود، هو أنت يا ماندل، أنت الواضع الماهر والضابط للنظام والتجارة في طريق نيغا كلّها. كيف تمكّنت من التنازل عن المجد والمال لتضع نفسك في خدمة مثل هذا الدّجل؟

وقف ماندل، شمّر كمّ قميصه العريض وأجاب:

– لا تضيّع الوقت، الواقع مليء بالظلم والاختلافات والنزاعات! لقد أصبحنا خدمًا لقوى الظلام. قدنا الإنسانية إلى وضع تلاشت فيه الأنوار. ماذا فعلنا من أجل مجتمعاتنا التي ندين لها بالكثير؟

عمّت الماهون من جديد ضوضاء وتعالت أصوات الأعضاء.

– خائن! جبان! مرتشٍ! مثير الفتن!

– طلبتم التوضيحات، دعوني إذن أتكلّم! طلب ماندل.

– لا تسمعوا له، هذه دعاية! تحت تهديدات الأعضاء، تدخّل باسطران لفرض الصمت وردّ الكلمة لماندل شارطًا عليه أن يزن كلامه.

استأنف ماندل مرافعته أمام أنظار الحضور الحاقدة.

– لقد نصبنا مدّعي عدالة مزعومة قائمة على مساواة مزيّفة مؤسّسة على "الكيل بمكيالين". هذا سبّب اصطدامًا بين الطوائف وحقدًا لا مثيل له تحمله الرعية لممثّليها الذين تنكّروا للحقّ المدني والحرية والأخلاق والضمير الطبيعي! فلم تصمد أيّ عقيدة ولا أي قيمة عالمية في وجه شهيتنا النّهمة.

– ماذا وفرنا لضمان ديمومة اقتصادنا؟ نعم ستقولون لي عندنا عملة قوية، زورطاس المسكوكة بالختم المضاعف لشاقور! ثمّ ماذا؟ هل يوجد معيار آخر ما عدا الزورطاس لحماية نظامنا الاقتصادي؟ لا يا سادة، مقابل الزورطاس، ليس لنا أيّة عملة أخرى، وليس لنا إنتاج نافع ولا تكنولوجيا مخصبة! لا يمكن أن يكون هناك تجارة مزدهرة بعملة مهيمنة.

سيكون الأمل هو القاعدة الجديدة المقابل للديكتاتورية ولنظام اقتصاد زورطاس الموجّه، لأنّ من هذا الأمل ستولد دينامية ثقة واستقرار إقليمي يجلبان سلامًا دائمًا. إنّي إذ فضّلت الأميرة زهرة على شاقور في هذا الخلاف، لم أفعل شيئًا سوى استباق التوجّه الحقيقي لاقتصاد نظامنا. من الآن فصاعدًا أمام ثبات زورطاس شاقور ينتصب الأمل المنبعث من الأميرة! لأنّ الاقتصاد المعاصر بحاجة لإعادة تشكيل جديدة تامة للحقل السياسي

والاقتصادي، وإلا فستبتلعنا العاصفة الهوجاء التي ترتسم في الأفق.

انطلقت معارضة قوية أحدثت صخبًا كبيرًا. تدخّل باسطران بإعطاء الكلمة لمتدخّل آخر.

حسنًا! حسنًا، حسنًا، حسنًا...! ما هو هذا المجنون الذي يعدنا بتكافئ نقدي جديد! أمّا هذه الساحرة المرعبة فلا تريد الاعتراف لا بالسلطة العليا للماهون ولا بتسامح صاحب النعمة علينا شاقور الذي قطعت له المجرّة كلّها يمين الولاء.

– ليست كلّ المجرّة، فقط الخونة والجشعون أمثالك! ردّت الأميرة ساخطة.

– هذر، كذب سيدنا شاقور منحنا نظامًا مكينًا سمح لمجتمعنا بأن يسجّل حضوره في الزمن والفضاء تجارة مزدهرة، وجيشًا قوّيًا... وأنت ماذا تقدّمين لنا كبديل؟

الآنسة تريد أن تعطينا جنّة، جنّة خيالية موصوفة في ميثاق خيالي. وحدهم الطيّبون يستطيعون الدخول إليها!

كلّ القاعة انفجرت ضحكًا.

– ليس الردّ عليك إلا مضيعةً للوقت، لكنّي سأفعل رغم ذلك على أمل أنّه بقي بينكم قلّة لم ينخرها الشرّ

تمامًا. ألقت بنظرة معبّرة تجاه باسطران. الميثاق موجود وكذلك باهية!

– آه!

ظهرت معارضة كبيرة في القاعة.

– أكاذيب! برهني على ما تقولين! صاح أعضاء الماهون.

– التلاميذ البلداء ذاكرتهم ضعيفة، وهذا هو السبب الذي يجعلهم يكرّرون الأخطاء نفسها! تحاولون أن تكرّروا في الكون كلّ الأخطاء التي ارتكبناها قبلاً على الأرض! عجرفتكم وجشعكم أعمياكم... إلى درجة أنّكم حِدتم عن طريق الخالق لتقيموا صلواتكم السوداء في معبد الحيوان الدّنس!

في مظهركم الممسوخ لا أرى سوى الاحتقار والحقد والموت دون قناع! تريدون أن تعرفوا إذا كانت باهية والميثاق موجودين؟ نعم، الميثاق موجود، وهو يقين لآلاف وآلاف من النّاس البسطاء، أمّا عن تقصّيكم عن باهية، فأنا لا أملك أدلّة ماديّة، لكنّني أؤمن بوجودها.

تعالت "آه" كبيرة في القاعة، قوطعت بالدخول المفاجئ لضابط بالزيّ العسكري توجه بخطى ثابتة نحو باسطران وهمس همسًا مختصرًا في أذنه.

نظر باسطران نظرة حادّة إلى الأميرة وسألها:

– من هو سندباد؟

– سندباد؟ سندباد! الحمد لله، سندباد رجع...

– أتقولين لنا من هو هذا السندباد؟ أمر باسطران.

تمالكت الأميرة نفسها ثمّ سجّلت لحظة توقّف قبل أن تجيب.

تريدون معرفة من يكون سندباد؟ حسنًا سأقول ذلك لكم في كلمتين سندباد هو أكبر بحار في الكون! هو من سيقهر الشرير شاقور، ثمّ سيقودنا صوب باهية.

زمجرة نزاع أخذت الحضور، ولكن سرعان ما تحوّل ذلك إلى صمت من جليد عندما ظهر طيف ليزري في وسط الماهون. استولى خوف غريب على أعضاء المجلس الذين سارعوا بالسجود أمام هذا التجلّي.

استدار شاقور ذو المظهر الثلاثي الأبعاد نحو الأميرة وقال لها، ساخرًا:

– أميرة! أيتها الأميرة! لقب يليق بمقامك ويرفض هؤلاء الجبناء أن يمنحوه لك! هيّا انضمّي إليّ. وسيركعون عند قدميك، ستكونين امبراطورة. ومعًا سنحكم الكون! فكّري، لم يفت الأوان بعد واقتراحي لا زال قائمًا.

– أفضّل الموت على أن أتبعك في مشروعك الشيطاني!

– ها! ها... أتعتقدين أنّ سندباد سينقذك، قريبًا ستكونين بجانبي. سترين.

استدار صوب باسطران وأمره بنبرة مخيفة: أبعثها إليّ في القلعة!

تلاشى الطيف الليزري وأمر باسطران بإخراج المساجين من الماهون.

داخل الزنزانة، خيّم صمت مكهرب. وحدها ضجّة بعض الصيحات المخنوقة تُسمع في الأروقة. أخيرًا تمتع المساجين الثلاثة بلحظات راحة.

كانت الأميرة تفكّر، وهي مغلقة العينين وعلى حاجبيها تقطيبة خفيفة، في الأحداث التي عاشتها. كان اسم سندباد الذي ذكر في حرم الماهون ما يزال يرنّ في رأسها. إنّها تذكر ذلك الشاب البحار بهيئته الأنيقة رغم وجهه ويديه اللذين لفحهما الريح والشمس والملح. إنّها تتذكّر كرمه وحماسته و، خاصّة تفاؤله الكبير.

لقد وعدها بأن يفعل كلّ ما في وسعه لمساعدة شعبها وتخليصه من طغيان شاقور وجلاوزته. لقد أحسّت بصدقه المطبوع بشيء من البراءة تعطيه

هالة من المناعة شبيه بتلك التي نلمحها في عالم الأطفال. صدّقت وعده بالرجوع، انتظرت حتّى داخلها الشكّ. ثمّ كان القلق: هل وقع له حادث؟

والآن، هي نادمة لأنّها فقدت الصبر، لأنّها متأكّدة من أنّه لن يترك وسيلة إلاّ ولجأ إليها وسيجوب المجرّة كلّها حتّى يخلّصها من زنزانات شاقور. وهذا ما يقلقها، لأنّ الفرصة أتيحت لها لدراسة جانب من نظام أمن السجن، فأدركت أنّه يلزم أن يكون الواحد مجنونًا حتّى يحاول اقتحام تلك المصيدة...

فجأة، سمعت قعقعة قفل فتح الباب المصفّح وظهر باسطران وحده، وتقدّم مرتبكًا. انحنى بكثير من الاحترام أمام الأميرة التي لم تصدّق ما رأته. تلقائيًا، أسرع شان وماندل للإحاطة بصديقتهما.

– اسمحي لي يا أميرة على إهانتك منذ قليل... بدأ كلامه بصوت أجشّ.

بقيت الأميرة صامتة.

– يجب عليّ أن أشرح لك بالإضافة للاعتذار منك. صدقيني، لم أكن أبدًا حليفًا لهذا الوحش. كان يجب عليّ أن ألعب لعبته حتّى أنقذ ما يمكن إنقاذه، وما تبقى من طريق نيغا.

نظرت إليه الأميرة، التي ما زالت تحافظ على صمتها، وهي محتارة أكثر فأكثر.

– هل أنّ ضميرك يؤنّبك لدرجة أنّك جئت تقدّم لي هذه الاعترافات غير المجدية، قبل أن تسلّمني لشاقور؟

– ما طرحت أبدًا مسألة تسليمك لهذا الوحش يا أميرة.

– لكن هل لك خيار الآن؟

– بالله عليك اسمعيني، لا وقت لدينا، زيادة على أنّهم يستطيعون سماعنا. انظري! لقد حاولنا أن نخلّصك اليوم بالذات خلال محاكمتك، مع المقاومين، لكن الحراسة كانت جدّ مشدّدة ففشلنا. سننتقل إذن إلى المرحلة الثانية من خطّتنا.

لم تصدّق الأميرة ورفيقاها آذانهم. وواصلوا الاستماع بحذر.

– عند نقلك المقبل إلى كوكب شاقور ستعمل كوكبة من رجالي الأوفياء على تخليصك. سيتسلّل بعض الرجال بين حرسك لمساعدة الآخرين في الصعود إلى المركبة. من أجل نجاح المهمّة، عُهد لسندباد بتنسيق العمليّات.

– أتعرف سندباد؟ هل هو هنا؟

– نعم، إنّ مع تشوفسكي.

– وتعرف أيضًا تشوفسكي؟

– طبعًا. أنا رئيسه.

– أنت... أنت هو..

– اسمي كمناضل هو صامت.

أمسكت أميرة صيحتها.

– أنت صامت؟ أنت، باسطران؟

– نعم.

يا إلهي! وأنا التي شككت كثيرًا فيك لدرجة كرهك.

– عندما وضعت نفسي في خدمة شاقور كنت أعلم كم أنّ دوري سيكون صعبًا، لكن بفضل دوري كثيرًا ما حميتك بفضل إفشال مؤامرات شاقور وكذا بعض رؤساء العشائر الذين يعلنون أنّهم من المقاومين الكبار.

– تحمّلت كلّ هذه الإهانات في وحدة...

– وما عزّة شيخ كبير أمام مصلحة الإنسانية؟

أسرعت الأميرة زهرة نحو باسطران لتقبّله ولتسند رأسها إلى كتفيه. ذكرّتها رائحة الرفيق القديم لوالدها، بلحظات عزيزة من طفولتها، وبدت لها الآن صورة والدها جُمَان بشكل واضح. إنّها تتذكّر رقّة ذراعيه رغم صلابتهما عندما كان يهدهدها لتنام. غمرتها موجة سعادة وهدّأتها للحظة.

كان الشيخ باسطران جدّ متأثّر بمودة التي عبرّ عنها موقف الشابة تجاهه. ضمّها بحنان، ولم يهتمّ بعدها بإمساك الدمعتين اللتين كانتا تدغدغان خدّيه المتجعدين.

المركبة التي تقرّر أن تنقل الأميرة ورفيقيها هي بارجة شاقور الخاصّة. كانت بفضل تصفيحها المصنوع من مزيج بقيت تشكيلته جدّ سرية غير قابلة للتحطيم. فهي مجهّزة بتكنولوجيا متقدّمة فيما يتعلّق بالأسر والهجوم والدفاع، جعلتها تعتبر أرقى سلاح قاتل.

أرسل باسطران سريّة البروتوكول، طبقًا لشروط شاقور. أما الطاقم فيتلقى أوامره مباشرة من هذا الأخير.

الحراسة المقرّبة حرس الدكتاتور المخيف، وهو أيضًا في خدمة شاقور وحده.

تستطيع مفرزة المرتزقة هؤلاء قهر عصيان كما يمكنهم أيضًا محو منطقة كليًا. لهذا يوظّفهم في كلّ المناسبات ليقدّم المثل الرادع وليظهر مدى الشراسة التي يمكن أن يقدم عليها. وقد سلّمت قيادة هذا الجيش المخيف لزرطون.

زرطون هذا يطيع شاقورًا طاعة عمياء وليثبت له إخلاصه قتل كلّ عشيرته أمام عينيه، وبين الضحايا

كان أولاده. ومن وقتها أصبح شاقور يعتبره صنوه. لكنه يفضّل الشيطانة فاجغا على كلّ أتباعه. مخلوقة أوتيت قدرة على التآمر، بحيث انّها قادرة على جعل الشخص في نزاع مع نفسه.

ورغم شيطانية شاقور، إلاّ أنه يندهش أحيانًا من درجة الميكافيلية التي يمكن أن تستخدمها في أدنى قضيّة، فقط من أجل متعة تحطيم أو إذلال اللواتي والذين لا يخضعون لها.

إنّها هي التي تنسق عمليّة نقل الأميرة. ولأن شاقور كان يخشى من هجوم مخاتل قد ينظمه سندباد، فقد اتخذ كلّ الترتيبات الضرورية المتعلّقة بهذه العمليّة التي شارك فيها أيضًا زرطون.

كان سندباد وأكبر غير مرتاحين في بزّتيهما العسكريتين الجديدتين. اللتين فرضهما عليهما باسطران حتّى يندمجا في سرّية البروتوكول التي يجب أن ترافق حرس الأميرة، كعلامة إخلاص لشاقور.

استعرض فاجغا وزرطون الاثني عشر جنديًا الواقفين وقفة ثابتة كتماثيل.

توقفا فجأة أمام أكبر.

تفحّصته فاجغا من رأسه حتّى أخمص قدميه، واستدارت نحو باسطران:

– هل تضمن أنّ هذه سريّة مستعدّة للموت من أجل وليّ نعمتنا شاقور؟

– نعم، أجاب باسطران.

وحتّى يمتحن تأكيدات باسطران، أخرج زرطون خنجرًا بحدّين من غمده وقدّم السلاح لأكبر.

– اقبض الشفرة! أمرت فاجغا.

دون أيّ تردّد، مدّ أكبر يده وأغلقها على الشفرة. حدّق زرطون مباشرة في عينيه وبدأ يسحب ببطء الخنجر المشحوذ كموسى. ظلّ أكبر رابط الجأش، فلم تصدر منه أيّة شكوى، فيما كان زرطون يتلذّذ برؤية الشفرة مغطّاة بالدم.

– حسنًا! لنحضر المساجين! قرّرت فاجغا.

وما هي إلاّ لحظات حتّى مرّ ماندل متبوعًا بشان والأميرة أمام السريّة.

خاف سندباد أن تتعرّف عليه الأميرة رغم رأسه المغطّى بالخوذة المعدنيّة.

كانت هذه الأخيرة تتقدّم وسط السريّة. وكانت قلقة ومشغولة البال بمصير باسطران عندما يكتشف شاقور الحقيقة. عندما مرّت أمام سندباد، أحسّ هذا الأخير بتسارع نبضات قلبه. إنّه يرغب في أن يصيح باسمها، ويطمئنها...

فجأة، توقّفت لحظة وكأنّها تشعر بحضور مألوف.

– تقدّمي، صاح زرطون، في حين كانت فاجغا تصوّب نظرات شريرة.

تنفّس سندباد الصعداء عندما واصلت الأميرة السير.

برمجت مهاجمة المركبة خلال لحظة المرور الأكثف، داخل نفق نيغا حيث من المقرّر أن يُصطنع حادث خطير موجّه لإحداث ازدحام كبير.

كان شاقور يريد أن يظهر بمظهر الخطيب الحسن النيّة فهيّأ لليلة الزفاف أجمل غرفة في إقامته الفاخرة.

– لا أرى ما يجذب شاقورا فيك، هذه هي إذن الأميرة زهرة، تمتمت فاجغا.

وعندما لاحظت أن الأميرة تجاهلتها تمامًا، واصلت: حتّى يرتّب لك مثل هذا البروتوكول، قالت فاجغا وهي تتفحّص بنظرها الأميرة ملقية ببعض النظرات الخفيّة نحو المرآة الكبيرة لتقارن بين طيفيهما.

– استغنى بطيب خاطر عن هذا البروتوكول، وعن الذوق السيئ الذي يرافقه، قالت الأميرة مشمئزّة.

– هل هو لقب النبالة الثمين الذي يعطيك هذه الهيئة المتعالية؟

– لا! بل إنّ قوّة إرادتي في عدم التحالف أبدًا مع سيدك الشرير هي التي تعطيني هذه السكينة.

– أنت محظوظة. لأنّ شاقورا أمرني بإحضارك سليمة. وإلا...

– وإلا؟

– كنت سأتلذّذ ايمّا تلذذ بتقطيعك أربا أربا! تجشأت القاسية فاجغا وهي تكشف عن أظافر بشعة، طويلة وحادّة في نهاية أطراف أصابعها معقوفة.

أنا أشفق عليك! ردّت الأميرة التي أحسّت بقشعريرة خفيفة تسري في ظهرها.

– فجأة توقّفت المركبة فتوقف استعراض فاجغا الشيطاني.

– حرس! يا حرس!

– اقتحم القاعة شخص ببزة عسكرية؟

– ماذا يحدث؟

– وقع حادث كبير تسبّب في خلق انسداد كبير داخل النفق.

– حادث في النفق؟ هذا لا يحدث أبدًا! أين زرطون؟

– لقد أمر بفتح الطريق.

– غبيّ! سحب الحرس لتنظيم حركة المرور! بسرعة دقوا ناقوس الخطر! في الوقت نفسه، وعلى مرأى من شان وماندل الموثوقي الأيدي بأغلال إليكترونية، فكّ أكبر في طرطقة لِبدية رقبة آخر حارس كان يقف في طريقه ليمنعه من نجدة رفيقي الأميرة.

برأس خنجره عطّل ميكانيزم الأغلال وحرّر السجينين. وبحركة سريعة، نزع خوذته فأنارت ابتسامة رضا وجهه الذي كان يقطر عرقًا.

– أكبر! صديقي أكبر!

– تحياتي شان!

كان شان هو السليل المباشر لراهب الأسرة الحاكمة طه، التي حكمت قديمًا قسمًا كبيرًا من الأرض. كانت الضامنة لاستمرارية معبد شؤولين، وقد عرفت الأسرة الحاكمة طه كيف تطوّر أحسن مدرسة في الصراع في العالم. ولأنها كانت موجّهة لخدمة الخير فقط. فلم يكن باستطاعتها للأسف أن تُكوّن إلا مصارعًا كبيرًا واحدًا كلّ خمس سنوات. في ذاكرة الرهبان يبقى شان هو الأحسن من بين كل أتباع مدرسة طه.

عندما أطلق سراحه أولا، كان أكبر يعلم أنّ قوته وبراعته ستساعدان كثيرًا في نجاح المهمّة ومواصلة المغامرة.

في الغرفة الزوجية، كانت فاجغا، تحمل سلاحًا في اليد اليمنى، تصوّبه نحو الأميرة، فجأة سُمع صياح وضجّة في الأروقة. أثارت صلصلة السيوف وأنّات المحاربين انتباه المرأتين الذي اتّجه نحو الباب المقفل بشفرة مغناطيسية.

التحق شان وأكبر بسندباد وبعض من لا زال على قيد الحياة من أتباع باسطران الذين كانوا واقفين في مواجهة حرس زرطون كلّهم.

– سندباد!

– شان!

سدّ أكبر وشان منفذ الرواق منجزين ضربًا من الباليه بسيفين مهدّدين. في مواجهتهما كان يقف، العساكر المنظّمون في جماعات مستعدّة لكلّ شيء، هجموا عليهما هجومًا. وما أن يُغلب حشد حتّى يهجم حشد آخر. كان الصراع قاسيًا ولا هوادة فيه.

– سأطلق سراح الأميرة! صاح سندباد متوجهًا إلى رفاقه.

وصل أمام باب الغرفة الزوجيّة وحاول أن يعطّل القفل المغناطيسي. للأسف كان هذا الأخير مشفرًا.

خلف الباب، كانت فاجغا ما تزال تصوّب السلاح نحو الأميرة:

– ليست لك أيّة فرصة للخلاص، الباب مُرتج.

– أفترض أنّه ما عدا أنت وزرطون، لا أحد يعرف الشفرة.

– صدقت يا جميلتي، ولن يتمكّن أصدقاؤك من فتح هذا الباب حتّى تصل النجدة.

– ألا تريدين أن تصيري طيّبة مرّة وحيدة وتعطيني الشفرة، سخرت الأميرة.

– أغلقي فمك وإلا فجّرت رأسك.

وضعت فاجغا التي يبدو أنّها على حافّة نوبة هستيريّة، السلاح على صدغ الأميرة زهرة. فجأة فتح الباب بقرقعة ووقع البدين زرطون على قفاه، مدوسًا برجلي سندباد وأكبر.

– أيتها أميرة!

– سندباد!

– لا داعي لهذه المعزوفة، وإلا حطّمت وجهها الصغير!

فاجغا، كوني عاقلة مثل صديقك زرطون وضعي هذا السلاح، ليس لك من حل آخر.

– لماذا فتحت لهم الباب، أيها الأحمق؟

حاول زرطون أن يبرّر عمله، لكن أكبر ردعه بضربة قدم في مؤخّرته.

– سأتقدّم منك. آخذ الأميرة وأتركك تذهبين بحرية.

– خطوة أخرى وستكونان أنتما من سأقتل، ردّت بجفاف.

خطا سندباد خطوة أخرى وسريعًا وجّهت فاجغا سلاحها نحوه. وكان ذلك خطأ فادحًا! فقد وثبت الأميرة وثبة أفقدت فاجغا توازنها وبضربة "توري" موجّهة جيدًا، شلّت حركتها.

كانت زهرة، تلميذة شان، قد دربت منذ الصغر على الفنون القتالية.

– شكرًا سندباد.

– أرجوك يا أميرة! قال سندباد في تحيّة احترام طويلة. كان يودّ أن يحضنها بين ذراعيه، لكن حياءه منعه.

اقتحم شان القاعة.

– أسرعوا، النجدة لن تتأخّر.

– نحن قادمون.

ماذا يجب أن نفعل بالوحشين؟ قالت الأميرة.

وضع سندباد حدّ سيفه تحت ذقن فاجغا.

– سأتركك حيّة. اذهبي وقولي لسيّدك إنّنا سنطرده من هذا العالم!

– كشرت فاجغا تكشيرة حقد شوّهت ملامح وجهها. كانت وهي جاثمة على ركبتيها، وكفّاها على الأرض، تشبه عقابًا أخذت منه فريسته.

أسرعت الأميرة ومنقذوها على طول الرواق المغطّى بجثث العساكر الهامدة وبلغوا الجسر تحت طلقات نارية آتية من كلّ مكان.

– بسرعة! من هنا! صاح فيهم تشوفسكي الذي أحضر ثلاث مراكب فضائية مستعدّة للإقلاع. ركب تشوفسكي وماندل في الأولى، وصعد سندباد وزهرة في الثانية وتبعهم أكبر وشان في المركبة الثالثة. وحتّى يسمحا لأصدقائهم بالإفلات، اقلع أكبر وشان متأخرين قليلاً وهم يطلقان النّار على متعقبيهم.

كانت المراكب الثلاث الخفيفة تناور في متعرجة في وسط عدد كبير من المراكب التجارية الضخمة العالقة وسط الازدحام الذي تسبّبت فيه المعارك.

– سعيد جدًا بلقائك يا أميرة.

– شكرًا، سندباد! هل أحضرت الجاوي؟

– نعم يا أميرة.

– جيد! وكيف تنوي العمل؟

– سأذهب أولاً للبحث عن شاقور لطرده.

– حسنًا! سآتي معك.

– لا! ذلك خطر عليك.

– بلى!

– لا!

– سآتي معك! هذا أمر!

– حذار، انّهم يطلقون النار علينا.

– انظري، إنّهم يأتون من كلّ جهة. كانت هناك عشر مراكب مملوءة بالعساكر تتبعهم وترشهم بالرشاش.

– أيّتها الأميرة، استلمي القيادة.

أمسكت زهرة مقبض القيادة، نصب سندباد، وقد تحرّرت يداه، الرشاش المركب على مؤخّرة المركبة.

حذار، سيحمى الوطيس!

بينما كان يطلق النّار على من يتعقبونهم، كانت الأميرة تقود المركبة على ارتفاع خفيض وهي تكاد تلامس مراكب الشحن المحمّلة بالسلع وتمكّنت من التسلّل بينها، جسارة الأميرة أخافت مطارديهم وأفقدتهم توازنهم حتّى جعلتهم يتصادمون خلال تحليقهم وهو ما سهّل عمل سندباد الذي كان يصطادهم كالذباب.

– ماذا تفعل؟ هل نسيت شيئًا في المركبة؟ إلا إذا كنت مشتاقًا لفاجعا، مزح أكبر مع شان الذي توقف

للتوّ بين حاويين حتّى يتخلّص من مطارديه.

– ستتسلّى بمهاجمتهم من الخلف.

ظنّ المطاردون أنّهم ما يزالون في إثر سندباد وأصدقائه، فتجاوزوا شان وأكبر دون يروها. وجد الصديقان نفسيهما خلف مهاجميها، فأطلقا نيران رشاشاتهما عليهم الواحد تلو الآخر، بكلّ هدوء، كأنّهما في حفل جوّال.

– انظر يا أكبر! هناك آخرون سينقضون علينا.

– لكن من أين خرجوا ؟

– إنّهم الحرس المتنقّل الخاصّ بشاقور.

– ما هي خصيصة هذا الحرس المتنقل؟

– لديهم أدرع مصفّحة بخليط مميّز، بالإضافة على ذلكم فإنّهم جميعًا من نخبة الرماة.

ما كاد ينهي كلامه حتّى اصابتهم طلقة إصابة مباشرة، فاشتعل المحرّك.

– حذارِ يا أكبر إنّنا نفقد السيطرة على المركبة!

– ما العمل؟

– لا أعرف، يجب أن نجد طريقة لنقفز قبل أن نتحطّم.

بدأت مركبتهما تفقد الارتفاع وتسقط أسفل النفق.

- سندباد، انظر تحت! صاحت الأميرة.

- إلهي، إنّهما أكبر وشان! لقد أصيبا! سيتحطّمان!

- سأنزل!

- بسرعة، بسرعة! إذا بلغا حواجز النفق، فسيسحقان.

حرّكت الأميرة مقبض المركبة إلى آخره، وقامت بدورة تعادل مائة وثمانين درجة، وانقضّت عموديًا صوب مركبة أكبر وشان الصغيرة.

- ها هما!

يجب أن أسبقهما قليلاً، قبل أن اعتدل!

في سقوطهما المدوخ، أدرك شان وأكبر ما قامت به الأميرة، عندما سبقتهما، بينما أوقف الحرس المتنقل دراجاتهم الطائرة لمشاهدة الموت الأكيد للهاربين.

اعتدلت مركبة الأميرة بعد جهد وبصعوبة ثبت رأس المركب في مواجهة مركب شان الذي تمكّن بصعوبة من تثبيت حيزومة.

- بسرعة يا أكبر اقفز! صاح سندباد.

نظر أكبر باتجاه شان، وكأنّه يرجوه بأن يسبق.

- هيا أكبر! سألحق بك!

أقنعت تشجيعات شان أكبر على القفز.عندئذ، وثب وثبة مشهدية وهبط فوق مركبة الأميرة فاقدا التوازن قليلا. أمسكه سندباد بقبضة حازمة ومنعه من السّقوط في الفراغ. سريعا داخل المركبة انضم للسندباد والأميرة لتشجيع شان الذي كان يجد صعوبة في الخروج:

– هيا، أخرج!

– اقفز! اقفز!

– أعطني يدك!

– بسرعة، أعطني يدك!

وجد شان صعوبة في مغادرة كرسيه، كانت مركبته تحيد بشكل خطر تجاه مولد كهرباء النفق. أدرك أنّ وضعيته تجعل حياته وحياة أصدقائه في خطر، لم يبق له إلاّ مائة متر لتفادي النهاية القاتلة.

– خذ يدي! تعلّق بذراعي! صاح أكبر، وكان نصف جسده في الفراغ وذراعه ممدودة، كان شان محصورا بين المقود والمقعد، وخمّن أنّه لم يعد بإمكانه أن يخلص نفسه. حاول يائسا الإمساك بطرف يد أكبر الممدودة إليه.

ترك أكبر جسده يتدلّى أكثر في الفراغ. أمسكه سندباد بذراعه اليمنى من ركبتيه وبيده اليسرى تعلّق بمدرج المركبة.

– هيّا يا أميرة. لقد أمسكه! صاح سندباد.

نجحت الأميرة في جعل مركبتها تعتدل وكادت تلامس مولّد كهرباء النفق، ثمّ ارتفعت قليلا. كان شان، وهو متشبث بذراع أكبر العاضل، ومتدلّ في الفراغ مثل رقّاص الساعة. كان ينظر إلى المولد الكهربائي وهو يسحق مركبته التي غدت مثل صهارة متفجرة. عندما ابتعدوا عن الخطر، سحب سندباد وأكبر رفيقهما إلى الداخل وهنآه، لكن فرحتهما، للأسف، لم تدم طويلا، كان الحرس المتنقل من ورائهم يطلق النار عليهم من جديد.

– ارتفعي يا أميرة!

– مستحيل! لا نستطيع لا الارتفاع ولا الإسراع أكثر بسبب الحمولة.

– كان علينا أن نترك شان يقع، مازح أكبر.

– أتظنون أنّه الوقت المناسب للمزاح! لاحظ سندباد.

– موافق! موافق! طيّب، قال أكبر وهو يلقي نحو شان نظرة متواطئة.

تمركز الصديقان في الخلف وشرعا في الردّ على طلقات المطاردين. كان شان وأكبر يصيبان أهدافهما في كل طلقة، لكن ذلك لم يكن كافيا. إذ لم يتوقف عدد المطاردين عن الارتفاع. كان العساكر

الدرّاجون يحومون من حولهم في حركة دائرية لا تتوقف ويطلقون النار من كل جهة على مركبة الأميرة.

قاوم الرفاق الثلاثة بشجاعة وردوا الصاع صاعين.

– أسرعي يا أميرة! حاولي أن تحطي فوق مركبة الشحن هذه لربما وجدنا وسيلة للاحتماء.

– يستحيل أن نصل إليهما، الحمولة تمنع المركبة من الارتفاع.

– يا أميرة دعي المطاردين يقتربون منك!

– ماذا ستفعل يا سندباد ؟

– هجوم في غمرة التحليق.

– ماذا؟

لم يكن لدى سندباد الوقت الكافي ليشرح لها خطته لأنّه ارتمى في الفراغ عند اقتراب أحد المطاردين. انبثقت من سوار معصمه مرساة صغيرة في طرف سلك حديدي رقيق التف حول مقود مركبة العدو وشدّه معلقا في الهواء.

أسرع سندباد واقترب من المركبة الثانية وأمسكها من المقود، وتمكّن، بتخفيض سرعته من قيادة الدرّاجتيتن النارّيتين معا.

– اقفزوا !

ركب أكبر وشان في واحدة وسندباد والأميرة في الأخرى، وابتعد الرفاق الأربعة بسرعة كبيرة تحت وابل من الطلقات. واصل الأصدقاء الأربعة مقاومة حرس الطاغية شاقور رغم نقص ذخيرتهم. بقيت لهم إمكانية الفرار وذلك بالاندساس بين مركبات الشحن والمراكب الأخرى المتوقفة في الفضاء. هذه الاستراتيجية مكّنتهم من تفادي الطلقات، لكنّهم ضيعوا وقتًا طويلاً. فقد تقدّمتهم سريّة لتسد عليهم الطريق. فهم سندباد الخطة. في هذه اللحظة لم يترك له المطاردون الاختيار حتى يفكر في المستقبل القريب، كانت المطاردة فظيعة.

– يجب أن ننزل في جهة ما على مسطحة ذات مدخل صعب لإرغامهم على المواجهة الجسدية، قال سندباد للأميرة.

– لكن هذه مخاطرة كبيرة. إنّ عددهم كبير جدّا وسيسحقوننا.

– لا تقلقي، سنشغلهم لمدة للفت انتباههم وتمكينك من الفرار.

– أبدا لن أذهب بدونكم.

– هذا ضروري.

– أبدا!

لا تخافي، إنّنا نعرف فن المصارعة. أنا وشان وأكبر.

- أنا أيضا تلميذة مدرسة طه، أعرف كل شيء عن المصارعة مثل شان بما أنّه معلمي.

لا أشك في ذلك! رأيتك تفعلين، لكن حياتك نفيسة، لأنّ الإنسانية بحاجة إليك.

- آه! صاحت الأميرة عندما أصابت قذيفة مركبتهم في الصميم.

فقد سندباد السيطرة على مركبته التي اشتعلت النيران في مؤخرتها.

- هل أنت بخير يا أميرة ؟

- نعم! لست مصابة.

- استعدي! سنقفز.

- موافقة.

ارتميا في الفراغ، وهبطا على سطح مركبة شحن وراحا يجريان في خط منعرج لتفادي القذائف.

أشار شان لأكبر.

- انظر... لقد وقعا!

- هل نلحق بهما؟

- لا، سنكون أكثر فائدة هنا.

- إذن يجب أن نحصل على أسلحة ومركبة أخرى.

حالما قالها، توغّل الصديقان في ممر منعرج، تبعهما حارسان متنقلان، لكن فجأة وجدا نفسيهما في طريق مسدودة قبالة أكبر. لم يكن لديهما وقت كاف لرد الفعل على الفخ لأنّ شان انقض عليهما. ضرب المعتدي الأوّل بحد يده على صدغه وأتبع بـ"يوكو فيري" في بطن الثّاني الذي انطوى. استولى الرجلان على ترسانة أعدائهما، وقاد كل منهما مركبة جديدة وانطلقا لمد الدعم القوي لصديقيهما المحاصرين الآن.

واجه سندباد والأميرة جنبا إلى جنب بشجاعة سريتينّ ...كان سيف سندباد سلاح حرب بحقّ. لدرجة أنّه أثنى أعداءه على المواجهة الجسدية. فقد فضّلوا الانسحاب والرجوع للهجوم من على مركباتهم. اضطرت الطلقات الكثيفة الأميرة وسندباد للبحث عن مخبأ أمين، لكنّهما تبيّنا بسرعة لا جدوى حركتهما أمام قوة النيران المستعملة. لم يجد أكبر وشان وسيلة أخرى غير قذف مركبتيهما في وجه مطارديهم، بعد أن قفزا منهما بواسطة حركة رياضية ماهرة. أصطدمت اللآلات محدثة انفجارا ضخما.

تلاقى الأصدقاء الأربعة أرضًا. وفي حالة البلبلة والفوضى نجحوا في الاستيلاء على أربعة مركبات

وأقلعوا بسرعة فائقة! ارتخوا قليلاً عندما لم يروا أحدا في أثرهم، واستسلموا للفرحة وراحوا يهنّئون بعضهم بعضًا.

لكن تلك الاستراحة كانت، للأسف قصيرة، لأنّهم اصطدموا من جديد بحاجز منصوب بقيادة فاجغا وزرطون.

أوقف فرسان الفضاء الأربعة مركباتهم، تأملوا بدهشة ترتيبات الجنود المتمرسين في وضعية إطلاق النار ثمّ تشاوروا:

– لحد الآن، لم يفلح هارب في مغادرة النفق، قالت الأميرة.

– ماذا يجب أن نفعل ؟ سأل أكبر.

– التضرع لله والاندفاع داخل الكومة، رد عليه سندباد.

– لا أرى حلاّ آخر، قال شان.

– حسنا لنشكل مثلثا ! سأكون حده وستكونان الأجنحة، هكذا فإنّ الأميرة ستكون في الوسط محمية لأقصى حد، قال سندباد منسّقا العملية.

شكل الرفاق الأربعة سهما حديديا، أطلقوا أدرعة الحماية واستعدوا لخرق جدار الموت.

في لحظة الانطلاق، سمعوا طلقات نار قادمة

من الجهة الأخرى. قبالتهم، كان الجنود يسقطون كالذباب. كانت المفاجأة تامة! فقد هوجم الجنود من الخلف.

– إنّهم المقاومون! لقد جاؤوا لنجدتنا! صاحت الأميرة صيحة أمل.

– بسرعة! هناك ثغرة! لنهاجم!

اخترق الأصدقاء الأربعة الحاجز كحد سهم حديدي تحت طلقات نار كثيفة.

بعد مغادرتهم للنفق، تعرف سندباد، على مارك، الميكانيكي الشاب وتشوفسكي. وقد كان على رأس المقاومين.

– هل صلحت مركبتي ؟

– لا تقلق، لقد فعلت! ما زلت أحلم بخشب تغطيتها! زد على ذلك لقد أصبحت من طاقمك!

– آه جيد ؟ ومن جنّدك ؟

– هو الشرط الذي وضعت للجدّ، إذا كان يريد رؤية مركبه يغادر ملاكو ثانية.

عندما صاروا بعيدين عن الخطر، اجتمع المقاومون حول الأميرة ليقرّروا بشأن بقية الأحداث.

– ماذا سنفعل ؟ سأل تشوفسكي.

– نطارد شاقورًا في وكره! أجابت الأميرة.

– سأتبعك برجالي.

– لا، لديك عمل أفضل لتقوم به هنا.

– ما هو ؟

– أقترح عليك مهمة صعبة، لكنها تليق بمقامك تكوين جيش وإحداث ثورة في منقرة.

– أين سأجد كفاية من الرجال لتشكيل جيش قادر على شن ثورة ؟

– ستحصل على ما تشاء من الرجال.

ثم استدارت صوب ماندل:

– ماندل أضع بين يديك الخاتم والميثاق! من الآن سترث المكان الذي تركه المرحوم جمان.

أدهشه العرض، فردّ ماندل رافضا:

هذا تشريف عظيم لي أن أرتفع لصف العظيم جُمان! هذا الموقع موقعك، أنت الوريثة الوحيدة المذكورة في الميثاق. ثمّ أنتِ من يريد التّائهون اتباعك.

– أنا لا أقدم لك هدية، أنا أكلفك بمهمّة تَحمُّلِ مسؤولية ثقيلة. أنّ شرفك واستقامتك وحكمتك جعلوا منك الشّخص الأنسب لجمع العشائر.

أنا مقتنعة بأنّ الشّعوب ستتبعك حتى وإن لم يفعل قادتهم.

– نزولا عند مشيئتك سأتحمّل هذه المسؤولية مؤقتا في انتظار تنظيم انتخابات عامة تختار ديموقراطيا مجلس حكماء.

– شكرا، عرفت دوما أني أستطيع الاعتماد على مساعدتك !

ثمّ توجّهت إلى تشوفسكي:

– تشوفسكي، أرجوك ! افعل ما بوسعك لإنقاذ باسطران.

– هل سمعت جيّدا ؟ باسطران ؟

– نعم باسطران ! باسطران هو رئيسك الباسل صامت ! كان عليه أن يلعب دور الخائن، دون أن يعلم بذلك أحد. ، تحمل كره ذويه وأصدقائه من أجل مخاتلة ثقة شاقور والماهون. كلّ هذا من أجل المساعدة بفاعلية في الوقت المناسب.

– إلهي ! باسطران هو صامت

– واصل صامت، متخفّيا وراء قناع باسطران، لعب دور فارس الفضاء الشّهير المقدام الذي كنت تعرف.

من أعلى برج الماهون، استدعى باسطران صديقه المفضل كونجي.

كونجي هو أيضا كاتم سرّه وذراعه الأيمن.

– نعم سيّدي ! هل طلبتني ؟

– نعم يا عزيزي كونجي. ما زلت أحتاجك.

– في خدمتك. ماذا يجب أن أفعل؟

– أعط هذا المخطوط لماندل، توجد في هذا الكتاب كلّ ذاكرَة شعبنا و كلّ أسرار طريق نيغا ومنقرة. هناك أيضا شهادات حول أعضاء الماهون ورؤساء العشائر الذين خانوا شعوبهم.

لاحظ كونجي وهو يأخذ المخطوط، ملامح سيده المتعبة.

– ما بك يا سيّدي ؟ تبدو لي جدّ متعب.

– لا ! كلّ شيء على ما يرام ! اذهب الآن لإنجاز مهمّتك.

– ارتح الآن سيّدي، سأبذل كلّ جهدي لأسرع وأرجع بقربك !

– لا ! لا ترجع. ابقَ بجانب ماندل سيحتاج إليك حتما.

– لكن...

– الوداع يا صديقي العزيز.

– الوداع سيّدي.

غادر كونجي القاعة متراجعا، منحني الظهر

احتراما وعرفانًا بالجميل. كان باسطران ينظر إليه مغادرا وهو يهز يده.

كان كونجي في خدمة باسطران منذ أمد بعيد من عهد العظيم جُمان. كانت صلات حميمة تربط الرّجلين وهو ما أزاح علاقة السّيد بتابعه ليترك المكان لصداقة حقيقية. عندما ترك باسطران، أحسّ كونجي أنّه ينفصل عن جزء من نفسه. كان منذ البداية، على علم بالمهمّة الصّعبة التي تحملها باسطران، وهو يتظاهر بالخيانة من أجل مساعدة ذويه، وهو يعلم أيضا أنّ شاقور سيكتشف في الساعات القادمة أنّ باسطران هو الذي نظّم فرار الأميرة وأصدقائها، وقد يكون بعدُ على علم بذلك الآن. كان مجرّد التفكير في الأمر يجعل كونجي يتصبّب عرقا باردًا، لأنّ العقاب الذي ينتظر باسطران سيكون مرعبا. إنّ أي رجل عادي كان سيفضّل الانتحار على تحمّل حكم شاقور القاسي .لكنّ باسطران مؤمن ويعلم أنّ الانتحار مستهجن. قال كونجي في نفسه إنّهما كانا يستطيعان الفرار معا لكنّ معرفته الجيّدة بمعلمه تجعله يدرك أنّ عزة نفس باسطران تمنعه من تقديم أي تقرير عن سلوكه للذين عاملوه على أنّه خائن.

غادر سيّده وهو متردّد.

ساهم حضور سمو الأميرة زهرة، وشان ومارك إلى حدّ ما في تغييرسلوك طاقم الباونت. التزم أعضاء الطّاقم، في حضرة الأميرة، بإبداء قدر كبير من الاحترام، وكان حياؤهم يجعلهم يرتكبون عديد الأخطاء.

عندما يكونوا مع مارك لا يكون لديهم أي تحفّظ ويرتخون تماما، لأنّ الشّاب المصلح الميكانيكي العبقري عرف كيف يخلق جوًا بريئًا. أصبح بين مختار ومارك وناد وشيكو تواطؤ قوي.

يقدم هؤلاء الأبطال بمرح ولا مبالاة على مواجهة الموت. فوق الجسر الأمامي كان شان وأكبر يلعبان لعبة البيّوت، وهي لعبة تتمثّل في إحداث فراغ في ثقوب، الأوّل الذي يفرغ ثقوبه ويملأ ثقوب منافسه بكويرات يربح الدّورة. وفوق جسر الميمنة، كان شيكو الببغاء قد قاطع مارك وناد اللّذين كان يتآمران بصوت منخفض ضدّه. بعد ذلك بقليل أخذ مختار مزهره ودنّ بعض ألحان البلد.

أمّا سندباد، الذي انتهى حالاً من وضع آخر اللّمسات على خطّة الملاحقة الضّرورية التي ستساعده على تحديد موقع شاقور، فقد لحق بالأميرة فوق الكوثل.

كانت النّجوم السّديمية ذات الألف شعاع تضيء

جزءًا من وجه زهرة وكذلك جسدها الرّشيق. سندباد الذي كان خلفها قال في نفسه: إلهي كم هي جميلة وطاهرة كان يريد أن ينتهز الفرصة ليعلن لها عن حبّه. حب يعذبه ويؤلمه ويملأه في الوقت نفسه سعادة.

هو يعلم لماذا رجع إلى هذا العالم الجديد. إنّه يرغب في أن يقول لها، ذلك، لكنّه، للأسف لم يقدر، لأنّ سلوك الأميرة غير المتوقّع أحيانا والبريء يمنعانه من التّعبير عن أحاسيسه. وكثيرا ما يغلبه الحياء.

لما شعرت بحضور خلفها، استدارت الأميرة بأناقة وخفّة.

– آه ! هذا أنت ؟

– سامحيني ! ربمّا شوّشت تأملاتك، أعتذر سندباد مرتكبا.

– لا، كنت أتأمّل لمعان الضّوء، قالت الأميرة مشيرة إلى الصّور البلّورية الجميلة المرصعة فوق المطلع الخشبي للكوثل.

– هذه الصّور تمثّل حياة شعبي.

– أحب أنّ تحدّثني عنها.

طبعا، بكلّ سرور! قال سندباد وقد أسعده ذلك. هذه الصّورة تمثّل يوم سوق في بغداد، يأتونه من

الرّيف لبيع الفواكه الطّازجة والعسل وجبن المعز. يجئ إلى السّوق سكان مقاطاعات بعيدة جدًا لشراء وبيع التّوابل، الأقمشة، وخزفا وأقمشة قادمة من الهند والصّين.

– أأنت من مواليد بغداد ؟

– لا. أنا من صور.

– أين توجد صور؟

– في عُمان، في شبه الجزيرة العربيّة عند حدود الخليج الفارسي والمحيط الهندي. صور مشهورة بورشة صناعة المراكب. يصنع فيها أجمل قوارب شبه الجزيرة. وهي معروفة أيضا بلؤلئها وبخورها.

– كبرت في عُمان ؟

– حتى سنّ الرابعة عشر. بعد ذلك أبحرت كنوتي صغير في مركب كان ذاهبا إلى الصين.

– في مثل هذه السّن المبكّرة.

– جئت من شعب ملاحين وتجّار.

– وبغداد ؟

– اكتشفتها في سفر من أسفاري لكن منذ ذلك الحين لم تتوقف عن التردد في قلبي.

– أتريد أن تشرح لي ما تبقى من الصّور الأخرى ؟

– هنا، وهو يشير بأصبعه إلى الصور الثّانية،

المدينة بحياتها الاجتماعية المنظّمة. إنّه الخليفة الذي كان يشجع الفن، والشعر والطب وعلم الفلك.

كان علماء من سائر العالم يأتون إلى بغداد ينهلون من المعارف الموضوعة تحت تصرفهم في أرقى مكتبات الشّرق. كانت كلّ الثّقافات تتعايش في انسجام. إنّ حضارتنا هي خلاصة الحضارات الأخرى كُيِّفت وفق عاداتنا.

على هذا الرّسم، نرى فرسانًا يتنافسون، يوم حفل، في سباق خيل. وهنا، الوليمة المقامة بعد ذلك، تحت ضوء سماء مرصّعة بالنّجوم.

– كان شعبك يحيا حياة رائعة.

– ليس دوما! كانت هناك أيضا حروب، أحيانا طويلة نوعًا ما ومروعة. لكن سريعا ما تُنسى بفضل أغاني الحب والشعراء والموسيقيين. في جهة ما، كان الحب يسيطر على كلّ القلوب.

– ألديك حبّ ينتظرك ؟

جرّد هذا السؤال سندبادًا من سلاحه الذي لم يعد يعرف كثيرا ما يقول. كان يريد أن يقول لها: نعم لديّ حب، أنت حبّي! افتحي عينيك، وانظري إلي وستعرفين كل شيء. لكن حياءه جعله يصوغ إجابته بشكل آخر.

– أنا بحار، قمت بسبع رحلات طويلة لم يتركوا لي الوقت لاكتشاف هذا الإحساس:

كان سندباد محرجًا جدًا من نظرة الأميرة الرقيقة والمباشرة.

– يا أميرة أتريدين أن تكلميني عنك وعن أمثالك؟

– إنّ حياتي وحياة شعبي ليست ممتعة مثل حياتكم.

– كيف وصلت إلى هنا؟

– قرأت سلسلة نسبنا في مخطوط كان يحتفظ به جمان. هذا المخطوط يروي كل تاريخ أصل البشرية حتى يومنا هذا. زد على ذلك أني علمت بوجود بحار شهير يدعى سندباد وأنا أقرأه.

للأسف اختفى هذا المخطوط بمجيء شاقور.

تنهدت الأميرة لحظة ثمّ واصلت.

– كنّا نعيش على الكوكب نفسه مثلكم.

كوكب الأرض! كان العلم قد خطا خطوة سريعة في ترقية تعلم الإنسان. كانت الطبيعة كتابا مفتوحا بدون أي سر. الذرّة والوراثيات كانتا مبتذلتين إلى درجة أنّه كان بإمكان أي حرفي أن يغير بنية أيّة مادة وطراز خلقتها.

– أإلى هذا الحد؟

– بل أسوأ ! لم يعُد العلم يرى في خلق الحياة سيرورة طبيعية وروحيّة، بل بالأحرى فعلاً آليًا حيث كانت الصدفة مغيّبة كليّا. كان هذا الفهم الجديد للحياة قد خلّص الإنسان نهائيا من القيم القديمة مثل الفضيلة والرذيلة حتّى لا ينشر سوى الأنانية واللذّة. كانت أنانية عمياء نجمت عنها سلوكات جديدة. أصبحت قدرة الحفاظ على طفل في حالة الطفولة نفسها طيلة حياته والابقاء، بدافع النّرجسيةِ، على الجسد في حالة شباب أبديّة، شيئًا عاديًا.

لم يقاوم أحد كلّ هذه التغيرات؟ سأل سندباد، مرتابا.

– بلى، لكن المعارضين الوحيدين. كانوا يرسلون كعبيد إلى مناجم المعمرين الذين كانوا يستغلون معادن جبتير والمريخ.

– أفهم.

وقد بلغت هذه الحالة مداها في عالمنا عندما اكتشف الانسان أسرار المخ. قُرّر عندئذ خلق نظام أخلاقي وجمالي جديد ساد أغلبية الأذهان. انتهى هذا ذات يوم بقطيعة وحدة الشعور بالقوة الإلهية

ووضع حدّا نهائيّا للألوهية الأسمى ضامنة النّظام الأخلاقي والسّماوي.

أصبح متغطرسا عديم الذّمة وأحلّ نفسه محل خالقه وقرر إعطاء مظهر جديد للأرض.

– يا إلهي! قال سندباد ساخطا.

– بدأ هذا بسباق لاحتلال الفضاء من أجل أهداف جيوستراتجية. بدأت مئات، لا بل آلاف القواعد الحياتية تتكاثر في مدارات، عند حدود الجو. ثم اشترى أصحاب البنوك بعض الامتيازات في الطّبقات الجوّية العالية لترقية السّياحة الفضائيّة. درجة الحرارة في هذا المستوى كانت مماثلة لحرارة سطح الأرض. بنيت فنادق فاخرة. كانت حملات إشهار كبيرة تشيّد بالاقامات. وكانت الفنادق مملوءة والأرباح تكبر ببناء مدن كاملة فيها المنتزهات والغابات والبحيرات. واخترعت مناخات اصطناعية وفي أقل من قرن، كان عشر البشرية قد أصبح بعدُ يسكن هذه المنطقة من الفضاء، وحدهم المترفون كان بإمكانهم أن يسكنوا فيها. أمّا المحرومون فقد بقوا على الأرض اليابسة.

كانوا يشقون في العمل في مراكز نووية شاسعة حتى يوفروا الطاقة الضرورية للمدن الجديدة وقد حلّت مياه المحيطات، الذي كان يفترض أنّه لا ينفذ

محلّ طاقة الأحفور. وأصبحت المصدر الرئيسي للطّاقة بصهر النوحراري.

كان سكان الفضاء يفرغون نفايتهم، لأسباب مرتبطة بالناحية الماليّة عبر فتحة باب أرضي باتّجاه القشرة، دون حاجة لمصاريف النّقل لأنّ الجاذبية كانت تتكفل بذلك. ومع مرور الزمن، أصبحت الأرض قمامة حقيقية. أصبح الهواء غير صالح للتنشق ومياه البحار ملوثة. أمّا الآبار النادرة التي توفّر مياه صالحة للشرب فقد أصبحت تثير حروبا متواصلة. وأصبحت الحياة جحيما.

– نار جهنم قبل الوقت.

– نعم، أدّى تقلص الغاز، والغبار زيادة عن التسرّبات الإشعاعية من المراكز النووية، أدّى إلى ارتفاع حرارة الأرض. فيما بعد، قتلت الأمراض المعدية عُشر السكان المتبقين. بعدها بدأ المجتمع الجديد، وقد حرم من هؤلاء الملعونين، بدأ هو نفسه يتلاشى.

كان يجب إذن إيجاد وسيلة للرجوع إلى الأرض لكن حالة الإتلاف التدريجي لهذه الأخيرة كان في مرحلة جد متقدمة.

حمّل رجال الدين العلماء الخطأ. وحمّله العلماء لرجال السياسة الذين، بدورهم، اتهموا الأغنياء. ثمّ

وجدوا اتفاقا: حمّلوا الكلّ للطبيعة. وهكذا، أُستعملت صيغ متحذلقة تشرح للشّعب أنّ هذه الكارثة كانت طبيعية وكانت ناتجة عن زوبعة شمسية ذات قوّة خارقة.

لكنّ الأشياء للأسف، لم تكن بتلك البساطة، وما لبث الواقع أن فضح الكذبة: كانت مياه المحيطات على سطح الأرض جد ملوّثة لتعاد تصفيتها. فيما بعد اكتشفت بعض الطبقات المائية غير المتجددة لكن قلة كمياتها أثارت أطماعًا كثيرة لدى مختلف الأطراف.

– وعندئذ؟

– وهكذا قامت حرب نووية وانفجرت الأرض ببساطة!

– هل كان هناك من نجا؟

– لم ينجُ إلاّ بعض المعمرين الذين كانوا يعيشون على الكواكب الأخرى مع جنودهم وعبيدهم. بعد دمار الأرض كليّا بدأ النظام الشمسي يموت بدوره وبدأت الحياة تحتضر ببطء.

بعد خمسة قرون من الضياع في الفضاء، اكتشف الباقون طريق نيغا!

– نيغا كانت خلاصكم.

– نعم من حيث إنّها سمحت للإنسانية بالراحة، مع قبول القضاء الذي قدّره الله عليهم، وسمحت لهم رحمته بالتوبة. اغتنم جمان ومجلس الحكماء هذه الفرصة وأعادوا تحديد رؤيا أخرى للعالم بابراز الجمال الأبدي الذين كانوا شهداء عليه خلال رحلتهم الطويلة. عندها ولد الأمل في قلوبنا.

– الحمد لله!

– لكن هذا الأمل سرعان ما تلاشى عندما أكّد علماؤنا أنّ نيغا هي طريق الانفجار. هذا ما دفع الكثير من البشر إلى تفضيل حياة الرُحّل بعيدا عن منقره.

– يا له من قدر حزين.

– نعم، لكن الأمل ولد مع اكتشاف باهية.

– قصة مرعبة

لأوّل مرّة خانت دمعتان حساسية الأميرة المخبأة تحت الصلابة الظاهرية.

– أخذها سندباد، وهو متأثّر، بين ذراعيه وضمّها بحنان.

– لا تبكي، يا أميرة، سنجد باهية ونضع حدا لهذا الحيوان القذر شاقور! أقسم لك.

في هذه اللحظة، أثارت انتباههم موسيقى مرحة صادرة من الناحية المركزية للمركب.

ارتجل مختار لحنًا بمزهره غنى شيكو، ومارك وناد جماعيًا وكانت حركاتهم مضحكة. كان مارك يعلم ناد رقصة ناردة، يبدو أنّها أعجبته. تركت الكآبة المكان لجو الفرح.

لما انتهى مختار من عزف آخر نوتة، أوقف مارك رقصته، وهو يتصبّب عرقًا ونظر بتركيز إلى مختار.

إيه أنت أيّها الجد! أنت عبقري! ستكون ضمن فرقتي! سنكوّن مجموعة جهنمية.

– آه صحيح؟ استغرب مختار.

مع داهية جيد سنصبح ملوك الجابس! سيتخاصمون من أجل أن يجعلونا نمضي عقودا!

– ما هو الجابس ؟

– لا تعرف الجابس! لكن الجابس قاتل!

– إلهي! تنهّد مختار.

عندما رأى شان مختار مرتبكا هدأه وشرح له أنّ الجابس موسيقى للشباب و"قاتل" بمعنى جميل جدّا.

– وأنا، سأكون فردًا من المجموعة؟ سأل شيكو

– ربّما، إن لم يُبَحَّ صوتك.

– يبحُ صوتي ؟ كيف يبحُ صوتي ؟ لكن لي صوتَا جميلًا يا سيدي!

– يجب أن تتدرّب بالتكرار كثيرا.

– أكرر، هذا ما أجيد فعله. لكن الجميع يريد اسكاتي، لأنني لا أتوقف عن التكرار بعد الآخرين.

– لا يجب أن تصغي للجهلة

بعد أن تخلص من ثيابه السميكة، بدا شاقور من الخلف وهو عاري الجذع، كمراهق في أوج النمو ومن خلفه كان فاجغا وزرطون على ركبتيهما وأعينهما مشدودة إلى الأرض.

– تركتهما يفرون.

– نعم، سيدي! أجاب فاجغا وزرطون في آن واحد.

– كيف أمكن هذا ؟ سأل شاقور بصوت يتكلّف اللّطف:

– إنّها غلطة هذا الغبي زرطون.

لقد وقع في الفخ الذي نصبه له المقاومون في النفق. فقد سحب الحرس الحاكمي من أجل تسيير حركة المرور.

– لا سيدي! أخذت بعض الرجال فقط لأراقب الأمكنة المحاذية وأفشل أي فخ محتمل. هي التي

كان يجب أن تغطيني لكنّها كانت مشغولة كثيرا بمنافستها مع الأميرة زهرة.

– إنّ زرطون وحش دموي حقيقي. لا أناقش خاصيته القمعية. لكنه غبي إلى حد لا يمكن أن يكلف بنصف هذه المهمة.

– أيّتها الساحرة الشمطاء !

– دار رأس شاقور بنصف دورة فوق جذعه الصلب، الأمر الذي جعل العرق يتصبب من زرطون وفاجغا.

اغلقا فميكما!

أحدث صوت شاقور ارتجاجات خنقت زرطون وفاجغا. عبثًا حاول الوحشان أن يخففا عنهما بوضع يديهما على الحنجرة.

بسرعة، جحظت أعينهما، وسال اللعاب المدمى من فميهما المفتوحين نتيجة انفجار الأوردة الخلفية للحنجرة.

أظهرت ملامح وجهيهما وارتجاف جسميهما مدى معاناتهما الشديدة.

عندما قرّر شاقور التخفيف من العقاب الذي فرضه على خادميه الأمينين، كانا يتصببان عرقا ممزوجا بالدم.

– كيف اندسّ سندباد بين الحرس؟

– خاننا باسطران! تمتمت بصعوبة فاجغا.

– باسطران! ذلك الجبان باسطران! لقد أصبحت له أنياب ليعض.

– باسطران هو الرئيس المقاوم صامت.

– ماذا ؟ باسطران وصامت هما الشخص نفسه.

– نعم! سيدي.

– يا له من ماهر! وماذا قال سندباد ؟

التزم الاثنان الصمت.

– طرحت عليكما سؤالاً! ماذا قال سندباد؟

– قال...، وتردّد زرطون أنّه سيطردك من هذا العالم. قالت فاجغا.

– ها! ها ها! يطردني من هذا العالم؟ يا له من مشروع طموح من إنسان ضعيف. مجرد إنسان فان.

– وكيف هو هذا السندباد! ماذا يشبه ؟

– رهيب، سيدي، أكّدت فاجغا غاضّة البصر.

– هل أبهرك إلى درجة نسيان يقظتك.

– لا، سيدي، لقد فتن الأميرة زهرة.

– في هذه اللحظة، إنّه يتوجه نحونا، أبلغه زرطون.

– جريء، جد جريء بالنسبة لمجرّد بحّار مياه عذبة.

– نعم – سيدي!

– اطلقوا في أعقابه كلّ القراصنة وقناصي المكافآت! قدموا جائزة كبيرة.

– نعم، سيدي! هذه المرة لن يستطيع الهرب، أكّد زرطون، وهو يلوك كلماته.

– فاجغا! اذهبي إلى منقرة وعاقبي باسطران أشدّ العقاب.

– بكل سرور، سيدي! سأستخدم كلّ قدراتي المبدعة.

– اذهبا، اغربا عن وجهي! إذا فشلتما، ستثيران غضبي!

– نعم، سيدي، سننجح!

انسحبت فاجغا وزرطون على أربعة قوائم متراجعين، يخفضان دائما بصرهما إلى الأرض.

عندما أصبح شاقور وحده، بدأ يفكر بصوت عال:

– كيف تجرأ سندباد على أن يتحدّاني؟ أنا، شاقور سيد النار والظلمات. آه! سأهيّء له عقابا يليق بمقامي. وسأقمع هذا العصيان كما يجب!

معقل شاقور يجهله طاقم الباونت. بعد جمعه لكل الأوصاف ومختلف الروايات التي سمعها في منقرة،

حاول سندباد تبيّن موقع المعقل على خريطة، إنّه بحار ماهر، وتجربته مع العوالم العجيبة التي عرف خلال رحلاته مكّنته من التفكير في أنّ مخلوقا شريرا بهذا القدرلا بد تكون لديه رؤية للأشياء تختلف جدّا عن المخلوقات العادية.

لما لحقت به الأميرة في القمرية، كان قلقًا جدّا.

– هل من مشكلة ؟ سألت الأميرة.

– أبحث عن إبرة في كومة تين.

– لا أفهم.

– آسف! هذا تعبير متداول في عالمي عندما لا نستطيع العثور على شيء.

– لم تقدر على تحديد مكان شاقور؟

– لقد مررّت كل المجرّة العملاقة الغازية في مرسمة الطيف، لكن لم أعثر على أثر كوكب مثل الذي وصفه مختلف الأشخاص الذين التقيتهم.

– انظر إنّ "الدويلير" قد أظهر شيئا! لاحظت الأميرة فجأة.

– نعم هناك شيء! إنّه يقترب بسرعة كبيرة منا!

لا بد أنّه مركب يتبعنا. كبروا الصدى للحصول على معلومات أدق في المصوات.

– مركبة قراصنة!

– سيلحق بنا في وقت قصير، بسرعة، لنستعد. هؤلاء القراصنة متوحشون ولا يتراجعون أمام شيء!

استعد سندباد ورفاقه للمعركة. إنّ القراصنة في خدمة شاقور.

أصبح المعتدون الآن قريبين جدا من الباونت، كان سندباد وأصدقاؤه، وهم في وضعية القتال يستطيعون تمييز القراصنة المتأهّبين للحرب بوضوح، وهم مستعدون للاقتحام.

– هجوم! أمر رئيسهم، وهو شخص متوحش.

كسر صراخ الحشد الفوضوي هدوء الفضاء الفلكي. حاول القراصنة اقتحام الباونت في فوضى وبلبلة معتادة. لكنّ المفاجأة كانت كبيرة بالنسبة لهم، لأنّ لدى سندباد وأكبر وشان رد الفعل نفسه.

فقد بدأوا يحومون بدورهم في الفراغ ليوقفوا على الفور، بالسيف والباتر أولى محاولات الاقتحام. كانت المفاجأة كبيرة إلى درجة أنّ سندباد ورفاقه هم الذين اقتحموا مركب العدو، وبدأت المعركة بعنف قبل حتّى أن تمسّ أرجلهم سطح المركبة، كان قراصنة قد سقطوا صرعى. كانت تقنيات القتال المستعملة جدّ مختلفة. فالتي يستخدمها القراصنة جسدية أكثر. تعتمد على القوة، والعنف والردع. أمّا

طريقة سندباد ورفاقه فتقوم على الدقة، والتلقائية والخفة.

دار القسم الأكبر من الصراع في مركب القراصنة. كانت سلسلة لكمات وضربات مرفق وركل شان مشهديه، كانت وسائل تجميد الخصم الذي يستعملها، وتحركاته ورسوخه في الأرض جد سريعة لدرجة أنّه لم يعد في مقدور خصومه تتبّعها. فكانت محاولة ضرب شان، هي ضرب في الفراغ. كان تلميذ مدرسة طه المميّز رهيبا أيّا كان نوع الصراع الذي يخوضه. وسواء كان يصارع من قريب أو من بعيد فإنّ تقاطبه متميّز، وإنّه ليلقي بخصومه أرضا الواحد تلو الآخر.

كان أكبر مثل صخرة ذات أقدام خفيفة. حركاته تنبعث منها طاقة صاعقة. يتوفّر على نوع من القوّة الجسدية ممزوجة بخفة نادرة. وكانت مواجهته للضربات براحتيه الحديديتين مخيفة خاصة عندما يتبعها بردود دقيقة وفورية من قدمه من موقع قفز.

أمّا سندباد فهو لينّ ليونة القصب. ماهر في استعمال السيف. مراوغاته الكثيرة توقع خصومه في أخطاء. وإنّ تتابع حركاته ودقة ضرباته الموجهة إلى المكان المناسب، مستعملا تارة القوّة المستقيمة وتارة أخرى القوة المقوّسة، هو ما يجعله مقاتلاً

مخيفًا. سيفه شفرة رقيقة، مصنوع من مزيج غريب، لين وصلب في الوقت نفسه مثل الماس.

ومع أنّ سندباد ورفاقه تصرفوا بحيث تدور المعركة في مركب الخصم، إلا أنّهم سرعان ما تجاوزهم عدد المهاجمين. كان على مختار ومارك، وناد وحتى شيكو الآن المقاومة بكل قواهم هم أيضا من أجل حماية الأميرة.

كانت الأميرة زهرة واعية بضعفها أمام هجومات القراصنة البربرية، لذا استعملت كلّ أنواع الدقة في طريقة قتالها. كانت توجّه حركاتها متتابعة بنعومة وانسجام دقيق. كانت السّهولة التي تنفذ بها الانفراج الكبير المتبوع بعدة استدارات قد مكّنتها من توجيه ركلات عنيفة. وكانت تبدو وكأنّها تؤدّي رقصة باليه بكوريغرافيا مضبوطة، كان شان، معلمها الجيد، علّمها فن قلب الوضعيات غير المواتية باستخدام قوة خصمها.

برز ناد من برميل خشبي ليكسر إصيصا على رأس مهاجم كان يتعارك مع مختار. وكان الشيخ مختار، وهو يتراجع، يستعمل عصاه الأبنوسية بمهارة. لقد عرف دوما كيف يحافظ على طاقته معتمدا على الحيلة والتجربة.

أمّا مارك فقد ظلّ دائما هُوَ هُوَ. لم يكن حتّى القراصنة، وقد لاحظوا حركاته الهزلية غير المعتادة،

يحملونه على محمل الجدّ، ورغم ذلك فقد كان يحدث فيهم أضرارا كبيرة.

يلامس سندباد الآن بشفرة سيفه رئيس القراصنة شبه المصروع فوق كومة حبال.

– توقفوا! أوقفوا القتال! صاح رئيس القراصنة.

بصعوبة اعتدل الأحياء والجرحى والمصروعون وألقوا بأسلحتهم أرضًا.

– لماذا هاجمتمونا ؟ سأل سندباد

– من أجل المكافأة

– أي مكافأة

– قدم شاقور عشرة ملايين زورطاس من أجل القبض عليك! حيًا أو ميّتا.

– أين هو شاقور؟ أين توجد قلعته! تكلم وإلا قطعتك إلى شرائح مستديرة!

– لا أعرف! أقسم لك بأني لا أعرف !

– أنت من جال كلّ الفضاء، تجهل الطريق الذي يستعمله حرس الطاغية!

– أعرف فقط أنّها تلتفّ حول منطقة رجال الحجارة.

– من يكون رجال الحجارة ؟

– لا أعرف! ماعدا مركب شاقور، لا أحد يغامر في هذه الأماكن الملعونة.

– هذا صحيح، أكّدت الأميرة، أنا أيضا سمعت الكلام عنهم.

– أين يوجد مكانهم ؟ ألحّ سندباد.

– أنتم في الاتّجاه الصحيح.

– وما زلت متمسكا بهذه المكافأة ؟

– لا! لا! انتهت القرصنة، فسأفعل مثل ابن عمي، اشترى قطعة في أرصفة ميناء ملاكو..

– هذا جيد! الأفضل أن تكون عامل ميناء حي من أن تكون قرصانا ميّتا! لطّف سندباد.

فجأة حذّر مختار من الكوتل:

– مرسمة الطيف تكشف مركبا! إنّه يتوجه مباشرة نحونا بسرعة فائقة!

هدد سندباد من جديد رئيس القراصنة بشفرة سيفه الرقيقة.

– لمن هذا المركب؟ هل هم أصدقاء قراصنة آخرون؟

– لا أعرف قراصنة آخرون يستطيعون المغامرة حتّى هذا المكان البعيد

– إذن من يمكن أن يكونوا؟

– حسب رأيي هم رُحّل؟ وحدهم الرُّحل قادرون على الذهاب بعيدا.

– ولماذا يتبعنا هؤلاء الرحل ؟ من أجل المكافاة أيضا ؟

– ربّما.

أمر سندباد رفاقه بالاستعداد لهروب مستعجل.

– بسرعة شغلوا المحرّكات للانطلاق.

من جسر المركب المركزي، كان رئيس القراصنة المتحرّر الآن، يسخر من سندباد.

– لن تستطيعوا الفرار منهم! إنّهم قادرون على تقصي أثر الصدى في الفضاء ! ها! ها ! ستواجهون الرحل ها! ها! ها...

بلغ الباونت السرعة الضوئية، من جراء اندفاع فوري، خلال لحظات.

– ما الذي تنوي فعله ؟ سأل أكبر سندباد.

– تفادي المواجهة بالفرار منهم.

– سمعت ماذا قال رئيس القراصنة؟

– نعم، إنّه كلام لا زال يرنّ في رأسي، ربّما كان الهروب خطأ، لكن إذا كان بإمكاني تفادي الأسوأ بالنسبة لقومها، إذن سأجرب، قال سندباد مشيرا بذقنه للأميرة.

– إنّ مختار ومارك وناد منهكون تماما ولا تحسب أنّ لهم نفس انشغالاتنا.

سكت أكبر وجلس في الغبش يتأمّل شان الجالس في وضعية اللوتس متحكمًا كليًا في وتيرة تنفسه. كان يبدو له كمخلوق مدهش، صاحب حكمة وفي انسجام تام مع محيطه. هدوءه وعفويته ينبعث منهما إحساس بالامتلاء والانتشاء. ينظر أكبر إلى ناد ومارك ويقول في نفسه كيف يمكن لأطفال أبرياء أن يحملوا عبء أخطاء الكبار. في مثل هذه اللحظات يتأكّد أكبر أنّ معركته صالحة وعادلة.

بعد مدّة طويلة. تباطأ الباونت فأيقظ ذلك أعضاء الطاقم الواحد تلو الآخر. أحاطوا بسندباد الذي بقي يقظا في الوكن.

– ماذا بشأن مطاردينا ؟ استعلمت الأميرة.

– لم أعدْ أراهم لا في الدّوبلير ولا في مرسمة الطيف!

– ممتاز! لقد استطعت التخلص منهم.

– لنبق يقظين، ولا سيما وأنّا حدنا عن مدارنا قليلا.

اقترح مختار على سندباد بأن يرتاح قليلا ويترك له القيادة. وافق سندباد بطيبة خاطر.

في القمرية لم يستطع سندباد النوم. كانت تحذيرات رئيس القراصنة تتردد في ذهنه دون انقطاع. هناك حدس ما يبقيه يقظا وأبعد النوم الذي كان قد بدأ

يأخذه نهائيا. اعتدل فجأة والتحق بمختار الذي كان ما يزال محاطا بالبقية في الوكن.

– جميعهم كانوا منشغلين بملتقط الموجات على الشاشة.

– مشكلة؟ استعلم سندباد.

– نعم! ما يزال الرحل في أثرنا أكّد من جديد مختار.

– كيف فعلوا ليلحقوا بنا ؟

– لا أعرف، لكن لا بد أن يكونوا جدّ متطورين في تقنيات اكتشاف المواقع خمّن مختار.

– خطرت لمارك فكرة اقترحها على رفاقه:

– للتخلص منهم، يجب أن نبتكر خديعة.

– وأي خديعة ؟ سألت الأميرة.

– لنستعمل تقنية النقل! لنرسل لهم صورتنا الافتراضية في اتجاه آخر.

– وبعد ذلك ؟

– سنلزم السكون التام مما يجعلنا غير مكشوفين. هكذا نضطرهم لمتابعة صورتنا المرآتية.

– ولكن من دون أدوات الملاحة سنخرج تماما من المدار.

– حقّا سنحيد عن مجرانا، لكن إذا أدرجنا في حساباتنا تيّار المرآة، فإنّه يمكن القيام بعملية

تقدير أستقرائي عن طريق التناظر، وسنستطيع عندها أن نحدّد موقعنا بالنظر إلى مدار الصورة المرآة.

– أظن أنّه يجب علينا أن نحاول، وافق سندباد.

أخذ مارك مكان مختار لإتمام مشروعه عن طريق حساب رياضي معقد وصعب. بعد لحظات، ظهر على المرسمة الطيفية نقطة غيّرت المدار وراحت تتابع نقطة أخرى، هي نقطة صورتهم المماثلة.

ممتاز! نجحتَ! صاح الجمع الراضي جدا عن قدرات مارك.

– الآن علينا بالسكوت التام، ألحّ مارك.

أخذ أعضاء الطاقم قسطًا الراحة، وقد طمأنهم نجاح مارك. وحده مختار النوتي بقي عند المقبض ينفذ التعليمات الناتجة عن حسابات مارك.

– هه أيّها الجدّ، يمكنك الآن استخدام جهاز الطيران التلقائي، لأنّنا سنحافظ على الاتجاه نفسه.

– فكرة جيّدة! قال مختار معجبا.

– لا تقلق، ستنجح.

– على فكرة مارك، ما زال اقتراحك السابق قائما؟

– أي اقتراح؟

– قصة العقد.

– آه! ملك الجابس ؟ آه نعم، صدقني سنحقق نجاحا كبيرًا!

– ألا تريد أن تطلعني على الأمور، هكذا أكون مهيّئا تهييئا جيّدا بالنسبة للمعجبين بي.

– حسنا، ستتجول في سيارة كلبسو من صوّانٍ أزرق وآلاف الأشخاص يجرون وراءك حتى تخطّ على جباههم اسمك.

– ثم ماذا ؟

– سوف ترى. إنّي أرى من هنا المُعجبين يجرون بالآلاف وراءك وهم يهتفون مختار! مختار! لكنّي أظنّ أنّ مختار ليست موسيقية بالنسبة لنجم من نجوم الجابس.

– لكن دعيت دوما مختار النوتي.

– أجدها تسمية بالية نوعا ما.

– بالية!

نعم! ولِمَ لا «تراخوم». آه نعم، أفضل تراخوم. إنّها ترن أفضلَ وهي أقلّ قِدمًا.

شيكو الذي لم يكن بعيدا، نظر إليهما بتعجّب بينما كانا يكرران «تراخوم! تراخوم!»

– ما بكما تصرخان هكذا ؟

– تراخوم، هو اسم النجومية الجديد الذي أحمله، سيدي الببغاء!

– هذا جيد، تتفقان خلف ظهري! أمضيتما عقدا في غيابي ؟!

– اهدأ شيكو! كنّا نحاول إيجاد اسم نجم لمختار. ألاّ يرن تراخوم خيرًا من مختار؟

– واسمي ؟

– اسمك ؟ لكن لست بحاجة إلى اسم آخر، مطربو الكورال مجهولون في أغلب الأحيان!

– لن أكون سوى مطرب بسيط مجهول! جعلتني أكرّر كلّ هذا الوقت من أجل نتيجة هزيلة حبّات خوخ!

– ما هو الخوخ ؟ سأل مارك:

– السيد لا يعرف حتى الخوخ ويدعي أني لن أكون نجما من نجوم الجابس.

انفجر مختار ومارك ضحكا وهما يتغامزان ليثيرا مجدّدًا الببغاء الذي بدأ يقاطعهما بجدّ.

الأميرة وناد اللذان قضيا معا وقتا طيّبا يقصان قصة حياتهما على بعضهما، لحقا بهما في الوكن.

– هه مختار، لقد دعتني الأميرة للعيش معها في باهية ! أعلن ناد.

– أدار مختار رأسه كأنّه يبحث عن شخص يدعى مختار وأجاب ناد.

– إذا كنت أنا المخاطب أيّها الشاب، اعلم أنّ اسمي تراخوم !

– تراخوم ؟ ردّد ناد بتعجّب.

– إنّه اسمه الجديد كنجم من نجوم الجابس! لقد أصابه الغرور، لاحظ شيكو.

انفجر سندباد وأكبر وشان الذين لحقوا لتوهم ضحكا بدورهم. وخيّم جوّ مُريح. ما عدا بالنسبة للبغاء الذي أصرّ على مقاطعتهم فعلا وراح يحط على طرف مقدمة المركب، وهو يجتر أفكارًا سوداء. وقال لنفسه مذ جاء مارك، ساءت علاقته بمختار وناد.

– لم يعد ناد يلعب إلا مع مارك. من يظن نفسه هذا المارك، ليقرر من سيكون نجم الجابس؟ سأكوّن فرقتي للجابس بدونهم وسأسميها كوشي إنّها ترن أحسن من تراخوم. كوشي! كوشي!

– توقف شيكو دفعة واحدة عندما رأى قدامه مركبا!

– النجدة! النجدة! إنّهم هنا!

تلاشت بشاشة الجماعة فورا لتترك المجال للحيرة.

– لا أفهم، قال مارك. كيف فعلوا لتفادي ملتقط الموجات.

– إنّهم رُحّل! ليسوا بحاجة إلى أجهزة، إنّهم يحاورون الريح! أجاب سندباد.

– دار إلى أصدقائه وحذرهم:

– ليس لدينا اختيار، سنذهب حتما إلى المواجهة!

– اتّجه سندباد ومختار وشان والأميرة، الذين يشكلون قوة الطاقم الضاربة، بهدوء إلى مقدمة الباونت، دون حركة ودون كلمة.

كانت وجوه الرحّل تبدو قاسية ومن وقفتهم، فَهِم سندباد أنّه يواجه محاربين أشدّاء. بدت هذه المواجهة الصامتة أزلية.

عندما شعر أكبر أنّ هذا الانتظار الطويل يعرض الجماعة لفقدان التركيز، سأل بسرعة سندباد:

– ماذا نفعل ؟ نهاجم ؟

– لا نفعل شيئا! ننتظر! أجابه سندباد.

بعد انتظار طويل، ظهر جسر مرصدي صغير من مركب الرحل ليرتبط بالباونت. حالما تم الاتصال، قدم رجل بسرعة فائقة مدّ بساطا على طول الجسر حتى أرجل الأصدقاء الأربعة. كرد فعل، حاول أكبر أن يستل سيفه، لكن سندباد أوقفه بإشارة فورية.

– لا حركات مباغتة!

لاحظ سندباد أنّ البساط الذي يغطي الجسر مزخرف برسوم تشبه بشكل غريب تلك التي رأى قبلاً في العالم الذي جاء منه.

الرجل الذي مدّ البساط كما نفعل لإمبرطور، اعتدل ثمّ جمع كفيه وانحنى أمام الأميرة زهرة.

سمو الأميرة زهرة، دليلنا المحرم يدعوك للحاق به في جناحه!

– لن تتحرّك من هنا! قال سندباد.

– لا بأس! سأذهب، بادرت الأميرة بالقول.

– لا! لا تذهبي، قد يكون فخا!

– لو كانوا يريدون ذلك، لكنّا رُشقنا بسهام قاتلة، نبّهته الأميرة.

تخلت الأميرة عن سلاحها وتقدمت على طول الجسر في مشية أنيقة وهادئة. واختفت بداخل المركب، تحت النظرات الثابتة للمحاربين الرحل.

عندما غابت عن نظره، تساءل سندباد إن لم يكن قد ارتكب خطأ عندما نزل عند رغبتها بسهولة.

أكبر رجل عمليّ ويكره الوضعيات الغامضة حيث لا يستطيع التصرف. وكانت رؤية رفيقه قلقا تثيره أكثر بعد قليل ترك الشك المكان للقلق، لانقطاع أخبار الأميرة لمدة طويلة.

كان شان، والباتر مطروحًا أرضا، والأيدي مربعة، جالسا كعادته في وضعية اللوتس، يتحكم في تنفسه وهو في حالة استغراق عميق.

خلف مظهره الهادئ، كان يسكنه خوف كبير. إنّ زهرة ليست تلميذته ومحميته فقط، إنّها القريبة الوحيدة التي تبقّت له. لقد رآها تكبر، وساهم كثِيرا في تعليمها وخاصة تفتحّها. منذ موت جمان، تعلّقت به كثيرًا. وهو يحمل لها عواطف عميقة ويعتبرها مثل ابنته. وللمرة الأولى لم يكن شان يتأمل بل يدعو.

عندما جاوزت الأميرة عتبة الباب، رأت خيالاً صغيرًا يجلس في الظليلة.

– ادخلي يا ابنتي!

سادت أجواء الثقة بصورة طبيعية، وتقدمت الأميرة دون تردد نحو مضيفها.

– اجلسي يا أميرة. خذي مكانا بجانبي.

واجهت الأميرة شيخًا ضعيفا وسط قاعة متواضعة مؤثّثة بأشياء جدّ بسيطة.

– دعيني أتحسّس وجهك.

– انتبهت الأميرة إلى أنّ الشيخ كان أعمى مبتور الساقين.

بحنان كبير تحسّس تقاسيم وجه زهرة. شعرت الأميرة بفيض حنان غير عادي يغمرها. كان لديها شعور بأنّ قوّة قدمت من فضاء آخر تجذبها.

– أنتِ بالضبط كما رأيتك.

– هل التقينا قبلا ؟ سألت الأميرة.

– نعم، في عالم آخر.

وجدت الأميرة صعوبة في الفهم.

– من فضلكِ، افتحي هذا الصندوق! بداخله يوجد رقّ وقارورة زجاجية صغيرة، خذيهما واقرئي محتوى الرّق من فضلك.

وافقت الأميرة على طلب الشيخ، بسطت الرق القديم وقفزت:

– إلهي!

شعرت الأميرة بقلق ينتابها عندما رأت صورتها. رأت نفسها في وسط طبيعة مزهرة. غشي فكرها اضطراب كبير.

– لا أفهم شيئا! من أين لك هذا الرق! قالت له الأميرة.

– هذا الرّق كان موجودًا حتى قبل أن يحكم على الإنسان بالضياع في الفضاء.

– ومن تكون هذه الشابة التي تشبهني؟ وهذا العالَم الساحر؟

– إنّها أنتِ يا أميرة. أنت في باهية.

– لكن باهية ليست سوى سراب.

– ربمّا هي كذلك بالنسبة لأبيك جمان ومجلس الحكماء. كان عليهم الحفاظ على نظام مؤسّس بين الرجال. وكان عليهم بعث الأمل من جديد في الشعوب التي كانت تظن أنّ انقراض طريق نيغا يكون مصحوبا بنهاية العالم.

– باهية موجودة؟

– نعم، إنّها موجودة.

– أين هي إذن؟

– أنا أجهل ذلك، أنتِ وحدَك القادرة على اكتشاف الطريق الموصل إليها. وأنتِ وحدك القادرة على القضاء على قوى الشر. كنّا ننتظرك منذ أمدٍ بعيدٍ.

– كيف يمكنني أن أضع حدا لآثام شاقور وأجد كوكبا ما زال موضوع تأملات خيالية محضة لدى أكبر علمائنا؟

– عندما ظهرت، عرتني اهتزازات لم أشعر بها في محضر أي إنسان آخر، أدركت بسرعة أنّك أنتِ. إنّك تبعثين طاقة وسعادة كبيرة تمتد إلى أعماق قلوبنا. حتى أبعد زاوية في الكون.

– تطلبون مني، أنا الفانية البسيطة، تحقيق شيءٍ

مثل هذا! أنا آسفة، لا أظن أني المصطفاة إنّ شبهي مع المرأة المرسومة على رّقك محضُ صدفة. ربمّا هي عمل فنان لم يلهم بشكل صحيح صورة الجنّة.

– أنا أفهمك! نحن نحملك عبئا ثقيلا. إنّ حِمل كلّ أوزار البشرية مشقة كبيرة على مخلوقة ضعيفة مثلك.

سكتت الأميرة، وتركت الشيخ يتابع كلامه بعذوبة لا متناهية:

– تعرفين يا ابنتي، نحن الرحّل، لا نحلم بحقول خضراء كتلك التي وصفتها الكتب القديمة. إنّنا نجد السعادة في محاورتنا للطبيعة. أنّ كل مكان نجلس فيه و كل شيء نلامسه، وكل نسمة نتنفسها، تحكي لنا جزءًا من تاريخ الإنسان ومشاركته في هذا الكون. هذا يكفي لإسعادنا.

– أنت، أنت لا بدّ أنّك تملك الإجابة. ليس أنا، قالت الأميرة وقد أدهشها تواضع الشيخ.

– العلي القدير وحده يملك الحقيقة المطلقة. لكن تلك التي نبحث عنها هي أحيانا من حولنا، وهي ربمّا أيضا بداخلنا. كل واحد منا له طريقته الخاصة في الملاحظة والبحث عن الحقيقة بداخله. كل واحد منا له طريقته الخاصة في الإحساس بالجمال اللامتناهي للطبيعة. يختلف كلّ واحد

منا في هذا العالم بطريقة حمده لله، ربمّا أنتِ لم تختاري هذا الطريق، لكن في مكان ما هناك قوة سماوية اختارتك لتقومي بهذه المهمة. لا أحد يملك حق معارضة هذا الاختيار! القوة بداخلك! رأيت في أحلامي ما تصنعين.

أخذت الأميرة يد الشيخ الأعمى وضغطت عليها بقوة وقبّلتها. أفلتت منها دمعة حارة وقعت على ظهر يد المحرم.

بيده الضعيفة الأخرى، أخذ المحرم القارورة الزرقاء المعتمة وأعطاها للأميرة.

– ما هذا ؟

– بداخل هذه القارورة حُبس شعاع شمس!

– شعاع شمس حقيقي ؟

– شعاع شمس حقيقي ؟ حاولت أنا وغيري تحريره لكن لم يفلح أحد. خذيه واذهبي في أمان.

– أخذت الأميرة القارورة بلطف و أدخلتها بكيسها.

– أتمنى أن توجد باهية! أضافت الأميرة وهي عند عتبة الباب.

– باهية موجودة. هيا يا ابنتي، فليضئ نور الخالق الأزلي دربك!

لما ظهرت الأميرة على الجسر، تحت أنظار الرحلّ اليقظة، حيّا سندباد رجوع الأميرة بتنهد عميق. أمّا شان، الذي لم يتوقف عن التّحديق في نقطة خيالية، فقد أحسّ بحضور ابنته المتبناة وابتسم.

– بينما كانت الأميرة تقترب من الباونت، لاحظ سندباد خطوط وجهها المتعبة، فهم أنّ شيئا مُهما قد حدث في الجهة الأخرى من العبّارة أوحى له حدسه أنّ الأميرة زهرة قد تغيرت بعد الآن.

عندما كسرت فاجغا باب الماهون، وجدت باسطران على مقعده، في وضع غير مألوف.

آه! ها أنت ذا، أيّها الفارس المخلوع! هتفت فاجغا.

– أي تفاهة تنتج عن عبودية القيام بأعمال دنيئة!

– هل هي توبة الوصي المخلوع ؟

– ها! ها! لا، إنّما تأملي في حقارة ملعونة كريهة!

– أجدك مهما حقّ الإلهام بالنّسبة لشخص لن يلبث حتّى يخرّ متوسّلا أمامي!

ما دهاك فاجغا! أتظنين أنّ خنثى فظة مثلك تزعج طمأنينتي؟

– اقبضوا عليه! أمرت فاجغا حراسها.

– انتصب فارسُ الفضاء العجوزُ بلا مبالاة، والسيف بيده.

– كلاب حراستكِ لا يخيفونني.

واجه باسطران دزينة من الجنود. إنّه جد ماهر في المبارزة بالسيف كان الاستخفاف الذي واجه بها أعداءه قد جعله يبدو وكأنه يشارك في مجرّد مباراة مسايفة. البراعة التي وجه بها ضرباته القاتلة في المكان نفسه من الصدر أغضبت فاجغا.

هي، التي تعودت على إشاعه الحيرة في أذهان الناس، تواجه شخصًا يعرفها جيّدا، والذي زيادة على ذلك، يجد لذة في مشاركتها لعبتها أنّه يواجهها في ميدانها. الميدان الذي تتقنه أكثر من غيره، المتعلق بالتحطيم النّفسي.

– ابتعدوا أيّها العجزة! دعوه لي!

انمسخت أصابعها وتحوّلت وبرزت منها شفرات طويلة ورقيقة مغطاة بسم قاتل.

– ها! ها! ها هي الضبعة تخرج أظافرها!

– ستتضرع لي لأشفق عليك قبل أن أقتلك! صرخت فاجغا وهي توجه له سلسلة من ضربات مخلب، تفاداها بقليل. ثمّ اغتنمت لاتوازنه الخفيف،

فوجّهت له سلسلة أخرى من الضربات التي ألقت به أرضًا.

– لقد أصبح فارس الفضاء المتكبر أخرسَ الآن!

كان باسطران يعلم أنّه يواجه خصما أصغر وأقوى منه، وكان السبيل الوحيد للصمود أمامه هو اعتماد الحيلة.

– إنّك لا تخيفينني، ليس هذا سوى ذرٍّ الرماد بالعيون.

جددت فاجغا هجماتها بحركات مذهلة. تبعتها مجموعة ضربات أخرى أصابت وجه باسطران وجسده.

– وهذه، هي الأخرى ذر الرماد بالعيون ؟ وهذه! وهذه! دون أن تتوقف عن تكرارها عند كل ركلة وجّهتها لبطن الفارس الشيخ. تمكّن باسطران، الدامي الوجه، من الوقوف وهو يترنح، لكنّها لم تترك له فرصة للراحة. على وجهها تظهر لذّة لا حدود لها.

– ليس هذا سوى مقدّمة للعقاب الذي ينتظرك!

كان باسطران يدرك حالة فقدان الوعي الذي أصابه وحالة الضّعف التي أصبح فيها. وكان عليه أن يسترجع كلّ قواه وبسرعة حتى يمنع فاجغا من تعذيبه والقضاء عليه في سكرة موت طويلة.

استمر باسطران في تلقي الضربات، وبقي مركزا ويلاحظ أدنى حركات خصمه. لا بد أن يدفعها للخطأ بأي ثمن. يجب أن تسمح له تجربته الكبيرة بأن يجد ثغرة في ضربات فاجغا المتكررة الرتيبة.

– أجدك شجاعا! تقف من جديد كلما طرحتك أرضا. قالت له وهي تحاول أن تلقي به من جديد أرضا.

يعرف باسطران أنّ الخط المستقيم أقصر طريق ولاحظ أنّه الاتّجاه الدائم الذي توجه منه فاجغا ضرباتها. دفعت ثقة فاجغا المفرطة في نفسها للاقتراب منه. تفاداها بالكادِ عندما قام بحركة دائرية بنصف جسمه الأعلى... أُجبرت فاجغا عندها على القيام بحركة أطول، وفقدت توازنها قليلا. ولم تدرك الخدعة إلاّ بعد فوات الأوان، قبض باسطران على معصمها ولواه بجهد جهيد.

جحظت عينا فاجغا، ونظرت برعب إلى شفرات يدها المسمومة تنغرز في بطنها.

انفصل باسطران عنها دون النظر إليها ولا حتى الهمس بأدنى كلمة. إنّه غير مبال أكثر منه حقودا. كان يعلَم أنّ الخدوش التي أحدثتها الشفرات المسمومة في جسده قاتلة. كانِ عدم إظهاره أيّ انفعال يبين أنّ الرجل كان شريكًا فيما قُدّر له.

– حافظ على الاتجاه نفسه وتمهل! أوصى سندباد مختارًا الذي كان يبذل جهدا كبيرا للتركيز للمرور عبر مضايق الأجراف الصّخرية.

– هذه الطبيعة جد خطرة، لاحظ مختار.

– إنّه الطريق الذي أشارت إليه الأميرة.

– لكننا نخاطر في أي لحظة بالاصطدام بأحد الحواجز الجرفية إذا واصلنا.

– ليس لدينا أي خيار!

– لا أستطيع أن أقنع نفسي، هذا المكان يجعلني أقشعر.

– إنّه إقليم رجال الحجارة!

– هل هم موجودون فعلا رجال الحجارة هؤلاء؟

– لست متأكّدا! لم يلقَهم أحد حقيقة. الناس الذين غامروا بالذّهاب إلى إقليمهم لم يرجعوا أبدا، حتى مراكب شاقور تلف من حولها.

– كان كلّ أعضاء طاقم الباونت حذرين، أصبح الممرّ بين الحواجز أكثر ضيقًا والهاوية التي تفرق بين الجرفين تتوغل في ظلام. توجد صخور متراكمة فوق بعضها بعض كأنّ يدًا عملاقة كانت تلهو بجمعها. كان مختار واعيا بأنّ أدنى سهو يمكن أن يتسبب في انهيار يبتلعهم في أحشاء هذه الهاوية.

واصل الباونت رحلته الخطرة بصعوبة. كان البناء الصّخري مهتزا غير متوازن، وهو ما جعل الطّاقم يخلد إلى صمت مخيف. راودت فكرة التراجع الطاقم، لكن نظرا لدرجة تورّطهم بدا ذلك أمرًا مستحيلا. لقد عرف النوتي الماهر كثيرا من الصّعاب في حياته كملّاح. لم ينل منه لا محيط، ولا ريح، ولا عاصفة. من فرط المغامرة مع سندباد، أصبح مغرما بالمجهول. لكن هشاشة هذا العالم المعادي الذي يبحر فيه يخيفه. أوقف المركب نهائيا، عندما رأى منعرجا حادا، تخلى للسندباد عن دفّة المركب وهي في وضعية في تحليق ثابت.

– لن أستطيع تجاوز هذا الحاجز مطلقا. قال بعصبية.

تفهم سندباد الرفض المشروع لمختار. كان يدرك أنّه ليس باستطاعة أي نوتي في العالم أن يتجاوز هذا الحاجز دون أن يسبّب سقوط وابل من الصّخور. فكر قليلا ثم التحق بأكبر في طرف المركب.

– لن نستطيع أبدا تدبر أمر هذا الممر.

– المنعطف حاد جدا، إنّ أدنى خطأ يمكن أن يكون قاتلا! قال سندباد محذّرا.

– نحن أمام طريق مسدود، يا سندباد. أفهم الآن لماذا لم يرجع أحدا من هذا المكان المرعب.

تسلق أكبر الدلفين الخشبي الموجود في طرف المركب لمحاولة رؤية الجهة الخفية من المنعطف، تفحص مدّة طويلة المنعطف ثم أدار رأسه إلى جهة سندباد وطلب منه أن يلقي له بحبل.

– احذر يا أكبر، هذا المكان لا يرحم.

– هل لدينا اختيار؟

ربط أكبر الحبل في طرف المركب، تردد كثيرا قبل أن ينطلق معلقًا كعنكبوت، واختفى.

بدأ كل الطاقم يكابد انتظارا طويلا. لم يظهر أكبر بعد. كان سندباد واثقا من قدرات صديقه، لكنّه يعلم أيضا أنّه ليس من عادته ترك رفاقه ينتظرون.

– ناداه بصوت عال وقد نفذ صبره وتزايد قلقه.

– أكبر!

تردّد اسم أكبر مضخمًا بفعل الصّدى. وخيّم صمت جنائزي قطعه صوت بهيم قادم من بعيد، ثمّ بدأ يتضح أكثر فأكثر. وبينما كان أعضاء الطاقم ينظرون إلى بعضهم بتعجب وخوف محاولين تبيّنه، تبينه، كان يقترب منهم بطريقة محيّرة.

– انظروا! هناك في الخلف! صاح ناد.

– ركام جرفي، الصدى أحدث انهيارًا!

– سنموت جميعا! قال مختار.

– هيا مختار! المحرك إلى الأمام تماما! 90 يمينا.

– سنحدث ركاما جرفيا آخر، إذا تقدمنا! حذر مختار.

– إذا لم نتقدم، سنقبر! قال له سندباد الذي كان يجد صعوبة في إيصال كلامه بسبب الضوضاء.

توغل الباونت في المنعطف لتفادي الركام الجرفي. اصطدمت أطراف المركب بالجرف بعنف، لكنه واصل التقدم. حدث ما لم يكن متوقّعا، فرغم أنّه اصطدم بعنف بالجدران، لم تزدد قوة الانهيار.

هذا اللغز، مع أنّه يحيّره إلاّ أنّه لم يشغل سندباد، الذي كان يفكر بدلا منه في الاختفاء الغريب لصديقه. واصل أعضاء الطاقم ملاحتهم في صمت بين الصخور المهددة.

– انظروا! صاح هذه المرة مارك.

أدار الجميع رؤوسهم ويقوا مندهشين عندما رأوا تمثالا صخريّا ضخما يمسك بظهره المريكة الضخمة المشكّلة من حجارة ذات أحجام مختلفة، والتي تُكوّن هدب الجرف.

– يشد هذا التمثال الصخري التوازن الهش للصخور. بدونه، كنا دفنا الآن، أكّد لهم سندباد.

اقتربوا من التّمثال الصّخري المخلّص والذين يدينون له بالحياة.

– إلهي! صاح شان وهو يركز في وجه التمثال.

– آه تعجّب الآخرون جماعيا.

– إلهي! كأنّه أكبر!

– لا يمكن أن يكون ذلك صحيحا! قال سندباد منزعجا.

حالما مر الباونت بالقرب من التمثال، حاول سندباد أن يلمس أحد ساقيه.

– لا تلمس هذا التمثال الصخري! قال بنبرة آمرة صوت جاء من لا مكان.

– أي! قال شيكو، وقد بلغ به الخوف مداه، ثمّ دخل سريعا في مخبئه المعتاد.

– لا تلمسه وإلا ستبتلعكم الهاوية!

آه، تعجب مارك وناد وقد لفّهما الرّعب هما أيضا.

استدار سندباد ورفاقه باتّجاه الصوت. فوق كومة صخرية وقفت عجوز بشعر أبيض. هيئتها مستقيمة، تلبس فستانا أبيض وتُمسك بيدها اليمنى عصا توجهها نحو التّمثال الصّخري.

– إذا حدث ولمست يد بشرية التمثال، فسيتفتّت وينهار العالم كلّه، حذرت العجوز الغريبة مرة أخرى.

– من أنت ؟ سأل سندباد باضطراب.

– أنا حارسة مملكة الحجارة!

– هذا التمثال يشبه بشكل غريب صديقنا أكبر الذي نبحث عنه.

– هذا التمثال لا يشبه رفيقكم، إنّه رفيقكم!...

– مستحيل! ومن حوله هكذا ؟ قال سندباد بعصبية.

– أنا! لم أفعل إلا تحقيق أمنيته.

– ماذا ؟ أكبر كان يريد أن يصبح تمثالا ؟

– إنّه الثمن الذي دفع من أجل إنقاذ حياتكم!

– أرجوك يا جدة كوني أكثر وضوحا، إنّي لا أفهم ما تقولين.

– وجدت صديقك في حالة يرثى لها. عندما سألته عن سبب حزنه العميق، ردّ عليّ:

– « أصدقائي سيموتون، ولا أعرف ما العمل لإنقاذهم».

– ولِم كنا سنموت ؟

لا يمكن لبشر أن يعبر مملكة الحجارة. إنّها منيعة! صديقكم فهم هذا بسرعة وتوسل إليّ حتى أساعده

لإيجاد وسيلة لإخراجكم من هذا القبر وبالمقابل يفعل كل ما أطلبه. ماذا تريد أن تفعل سيدة عجوز وحيدة في هذه المملكة الصخرية بمحارب ؟ صدقني، صديقك.. لا يمكن التّخلص منه بسهولة.

ذكّرني باسمه.

– أكبر! أسرع سندباد بالرد عليها.

– آه نعم، أكبر، لقد لاحظت جسامته المدهشة عندما نطق باسمه. قلت لنفسي أنّ تحويله إلى تمثال صخري، يمكن أن يفيد في الحفاظ على توازن كل الصخور الأخرى للجرف.

– وطبعا لم تترددي لحظة...

– ماذا تريد، صديقك ساومني في حق عبوركم. ضحى بنفسه من أجل إنقاذكم ولقد دفع إتاوته!

– شكرا سيدتي من أجل كرم مساهمتك والآن ردي إلينا صديقنا، طلب منها سندباد ذلك وقد نفذ صبره.

– أرد لكم صديقكم ؟ مستحيل!

– كيف مستحيل ؟

– ليست لدي هذه القدرة.

– لأنك، لا تملكين هذه القدرة إلاّ في اتجاه وليس في الآخر؟

– للأسف هذه هي الحالة.

– أبدا لن نذهب من هنا دون أكبر! هل فهمت ؟ أبدًا! أبلغها سندباد.

يمكنكم أن تبقوا كلّ الوقت الذي تريدون، في هذا المكان لا أحد يُسرع. زد على ذلك، لا أرى أين يمكنكم الذهاب، هنا المحطة الأخيرة! قالت السيدة العجوز قبل أن تبتعد عن الطاقم.

– حتى إذا جئت بالنور إلى مملكتك المظلمة! صاحت فيها الأميرة زهرة.

استدار الجميع. إنّها المرة الأولى التي تعبر فيها الأميرة منذ لقائها مع محرم الرحل. صمتها أحرج كل الطاقم. لقد انفصلت كليا عن رفاقها، لكن بسبب الحياء، لم يجرأ أحد أن يسألها عن الأسباب.

استدارت السيدة العجوز مذهولة وصوبت عصاها نحو الأميرة.

– من أنت حتى تجرئي على تقديم عرض بمثل هذه الأهمية، أي سلطان لديك ؟

– أنا زهرة ولدي داخل هذه القارورة شعاع شمس حقيقي!

– أي زهرة ؟

– زهرة باهية!

تجمّدت العجوز عند سماع الاجابة وبدأت تتمتم.

– باهية...؟ زهرة...؟ زهرة باهية ! أنت هي... زهرة الخصوبة! هي إذن أنت! كنت أتوقع شيئا آخر لا بشرًا!

لم تحرّك الأميرة زهرة ساكنا بينما واصلت العجوز:

– كنت أتساءل لماذا، للمرّة الأولى، عفوت عن بشر غامروا إلى غاية هنا. صار لي مدّة وأنا أسهر على أن لا يجاوز هذا الممر أحد قبل زهرة الخصوبة. أخيرًا! فهمت، وأنا مرتاحة. أستطيع الآن مغادرة هذا المكان. فقد انتهت مهمّتي.

لم ينبس أحد ببنت شفة. كانوا كلّهم تحت وقع الصّدمة.

– والآن، هل تردي لنا أكبر مقابل هذه القارورة ؟ اقترحت زهرة.

– هذه القارورة لا بد أن تستخدم في ما هو أهم بكثير من إضاءة فانوس عجوز، زد على ذلك، أني قلت لك الآن سأغادر هذا المكان.

– غادريه إذا شئت، لكن قبل ذلك ردي لنا أكبر!

– هل تظنّين أني كنت سأحرم نفسي من شرف خدمة زهرة الخصوبة. للأسف، ليس لي قطعا وسيلة لتحقيق رغبتك.

– هل هناك طريقة أخرى ؟ ألحّت الأميرة.

استغرقت العجوز وقتا وهزّت رأسها بالنّفي:

– لا! لا أرى سبيلا. آه بلى...، ربّما هناك واحد.

– أي سبيل ؟ سأل سندباد بنفاذ صبر.

– ذلك مرتبط بمدى مقاومته الإغراء وصفاء روحه.

– ما الذي تريدين قوله ؟

– عندما يمسخ بشر إلى حجر، يظهر له بعد قليل ثلاثة أقمار صغيرة ترافق روحه. إذا كان قويا يستطيع مقاومتها وتستردونه، في الحالة العكسية لا أقول لكم أكثر.

– متى سيحدث هذا؟

– يجب أن تذهبوا أوّلا.

– لن نذهب أبدا دون أكبر!

– صدقوني، يجب أن تواصلوا طريقكم إذا كنتم تريدون الحصول على فرصة أخرى لرؤية صديقكم يسترد مظهره. هو سيعرف كيف يجدكم.

– لنذهب حالا! قالت الأميرة.

حاول سندباد معارضة الأميرة للحظة، لكنّه تبيّن بسرعة أنّه لم يعد يملك وسيلة فعالة لمواجهة قواتها فوق الطّبيعية.

خضع لقرار الأميرة بندم.

عندما دلف الباونت في المنطقة الخطرة لرجال الحجارة، بقي سندباد واقفا فوق الكوثل. لم يستطع بعدُ التسليم بأنّه سيواصل الرحلة تاركا وراءه في هذا المكان الملعون رفيق عمره. يترك صديقه، أخاه، الذي لم يتردّد لحظة في التضحية بعمره من أجل إنقاذ سندباد ورفاقه. كلّ هذا ليس عدلاً.

أسئلة كثيرة حيرته ووصل به الأمر حد الندم على أنّه قاد أصدقاءه إلى هذه المغامرة، إلى هذه المعركة التي ليست معركتهم.

سلوك الأميرة الذي لم يعد يفهمه منذ لقائها مع المحرم جعله يفكر كثيرا. كان يقول لنفسه إنّ كل شيء تغيّر في علاقتهما، حتّى أنّها أصبحت أكثر تحفّظًا، بل غامضة وغائبة. عبثا، حاول عدّة مرات يعاينها ليفهمها أكثر، قبل هذا، كانت الأميرة عفوية في أوقات الفرح كما في الألم وكان هذا يسر سندباد كثيرًا كانت الأمور سهلة. الآن، مع أسئلة العجوز المتعلقة بزهرة الخصوبة، أصبح سندباد يخشى من رد فعل سيء من زهرة، إنّه متخوف مسبقا.

لاحظ أنّ الأميرة أخذت موقفا جديدا، كأنّها تنطوي على طاقة كونية والتي لن يمكن له بلوغها، هو الإنسان البسيط. إنّه مقتنع أنّ هذا القدر ليس

صدفة ولا بد أن يكون هناك في جهة ما سبب يجد صعوبة في إدراكه.

قطع تساؤلاته ناد الذي طوقه بذراعه المزيلة.

– قل لي سندباد ! هل سيرجع أكبر كما كان من قبل!

– أنا متيقن من ذلك ! أعرف أكبرنا، إنّه قوي جدا!

– أنا أدعو الله القدير حتى يرجع إلينا.

– هذا حسن يا ناد، حسن.

ضم سندباد رأس الطفل الصغير وشعر براحة كبيرة.

حافظ أكبر، وهو بمظهره الصخري، على كل قواه العقلية. لم تفته كلمة من الحديث الذي دار بين رفاقه والعجوز.

لما ابتعد الباونت منه، لاحظ حزنهم العميق. شعر بداخله بارتياح كبير، لأنّه أدرك أنّ تضحيته لم تكن عبثا. فقد سمح للباونت بمواصلة رحلته.

هو فضل كبير ذاك الذي منحتك إيّاه العجوز، قال له صوت.

– من هنا ؟ من كلمني ؟ قال أكبر.

– أنا! أنا، الحجر الذي تحمل فوق ظهرك!

– ماذا ؟ حجر يتكلم ؟

– أنت أيضا حجر يتكلم. باستثناء أنّ العجوز أشفقت عليك فتركته بمظهرك البشري.

– أنت أيضا، أنت بشر ؟

– صحيح.

– ونحن أيضا! ونحن أيضا! رددت أحجار أخرى.

– منذ متى وأنتم هكذا ؟

– لم نعد نتذكر. الزمن توقف في هذا المكان.

– إذن أنتم أيضا، حاولتم عبور هذا الممر؟

– نعم، لكن سهوا، لأنّ الذين حاولوا تجاوزه عنوة تجدهم الآن في قعر الهاوية.

– لا أرى ما الذي يسركم، حجرة فوق جرف أو حجرة في هاوية، الأمر سيان.

– لكن الفرق عظيم. هم سيبقون في الظلمات إلى الأبد، بينما نحن، سيكون لنا حظ رؤية الأقمار الثلاثة في كل مرّة يُحولٍ فيها دخيل إلى حجارة.

– ما هي هذه الأقمار الثلاثة ؟

– آه كم هي مذهلة! لا أحد يصمد أمامها بالإضافة إلى أنّها لن تتأخر في المجيء لمرافقة روحك.

– لن ينالوا مني أبدا.

– لقد قلنا كلّنا ذلك قبلك.

– لم يستطع أكبر أن يماثل نفسه بتلك الحجارة. هو مقتنع بأنّها لا تشبهه في شيء، حتى أنّها بدأت تضايقه، فهي تثرثر كثيرا. ويبدأ يفكر في أصدقائه، حتى ينسى وضعه.

فجأة سكتت كل الحجارة عن الثرثرة. تلك التي فوق ظهره همست في أذنه.

– ها هنّ، إنهن قادمات.

– من ؟ ماذا ؟

– الأقمار الثلاثة ! أهلا بك، قريبا ستصبح منا.

ظهرت في الأفق ثلاث كرات واقتربت من الجرف بسرعة ثابتة واستقرت بالقرب من أكبر. شكلت الأقمار الثلاثة مثلثا متساوي الأضلاع. إنبعث من كل واحد نور فاتن، أصفر، أخضر وأزرق، عندما تتناضد تشكّل قوس قزح رائع ثم تتحول الكرات إلى أنصاف بداخل كل نصف مخلوقات أنثوية بجمال نادر جالسات على عروش. تتجه في آن واحد إلى مركز المثلث وتذوب في جسم واحد بجمال مهيب. تغادر العرش ببطء وتضع بجلال ساقها اليمنى خارج نصف الكرة. أمسك أكبر نفسه، خوفا على تلك المخلوقة من السّقوط في الفراغ. لكنّها كلّما قدّمت رجلها، تشكّل درج سلم ببريق لؤلؤي تحت قدمها. وقد جحظت عيناه مسحورا بجمال المرأة التي تتقدم

منه، تاركة خلفها ذيل فستانها الطويل فوق درجات السّلم.

عندما وصلت إلى مستواه، مدت له يدها، عندما رفعها، أحسّ بغبطة بالغة تغمره.

احتذى خطوات المخلوقة بدون أي مقاومة صوب المثلث الذي راح يتسع دون توقف وبداخله ظهرت الآن سماء زرقاء، وجبال مغطاة بالثلوج، وحقول خضراء، ومحيطات، وأنهار وبحيرات يحلق فوقها إوزّ أبيض ونحّاميّات وردية. مبهورًا بكل هذا الجمال صعد الدرج كإنسان آلي. لكن في منتصف الطريق اهتزت طمأنينته عندما فكر في أصدقائه. توقف لحظة ونظر خلفه، ثم تمالك نفسه قائلا إنّه ما زال الوقت مبكرا حتى يستحق جنة عدن هذه. يجب عليه أولاً أن يقاوم الشر في العالم الدّنيوي. قرّر أنّ مجيئه إلى هذا العالم يمكن أن يؤجّل.

بيد أنّه، لم يعد يسيطر على ساقية ليتراجع.

هذا الإحساس ليس غريبا عليه، وبدأ يبحث عن ذكريات لطالما ظلّت مخبّأة عندئذ رجعت إلى ذهنه صورة طفولته.

تذكّر أنّه وهو صغير، في قريته في إفريقيا، كان مشلول الساقين، وكان يشعر بعقدة تجاه أطفال قريته الذين كانوا يلعبون ويذهبون للصيد مع آبائهم. أمّا

هو فكان ينتظرهم عند الغسق قرب كوخه، ليتأمّل غنائمهم ويهنئهم.

كان يتذكر أمّه عندما كانت تحمله على ظهرها عندما تعمل في الحقول وهي تغني.

أسترجع أيضا أجمل يوم في حياته عندما قدم مطببٌ من قرية بعيدة ليطرد داءه. حدثت المعجزة ذلك اليوم، لأنّه استرد حركة ساقيه. عمّت البهجة كل العشيرة التي احتفلت بالحدث. ضحّت أسرته بثلاثة من أحسن ثيرانها. يتذكر كيف أنّه أحس كأن دم الثيران المضحى بها كان يسري في عروق ساقيه المشلولتين.

انتقل من الإعاقة إلى المجد. أصبح أبرع صياد في القبيلة. فرضت مثابرته وشجاعته وبسالته إعجاب واحترام ذويه وغيرهم من العشائر الأخرى ومنه جاء اسمه: أكبر. الأكبر!

فوق آخر العتبات التي بقيت له حتى يدخل المثلث السحري، تذكر اليوم الذي جرى فيه خلف حمار زرد في مفازة بسرعة فائقة مكنته من الإمساك به من ذيله.

أيقظته هذه الذكريات البعيدة من فتنة الأقمار الثلاثة. سحب يده من يد تلك الكائنة، وقفز قفزة مشهدية في الفراغ فوقع على ساقيه القويين. اعتدل،

نظر لحظة اتجاه الأفق وانطلق مقتفيا أثر الباونت في واد محصب من إقليم رجال الحجارة. مثل حمار زرد.

كان مركب سندباد يتقدم ببطء على ارتفاع منخفض، وكان الطاقم خائر القوى. لم يقبل أحد فكرة أنّه يمكن أن لا يرى الإفريقي مرّة أخرى كان الفراغ الذي خلفه صديقهم غير محتمل.

من فوق الكوثل سدد شان أصبعه تجاه الأفق.

– هناك!

– ماذا؟ سأل سندباد.

– يبدو لي أني رأيت شيئا، قال شان الذي مازال رغم سنه يحتفظ برؤية حادة.

– نظر سندباد بمنظاره.

– يا الله! إنّه أكبر!

– نعم، إنّه أكبر، أكّد شان.

– عاد أكبر!

– أكبر! صاح الببغاء الذي طار منقضّا تجاه أكبر وحط على معصمه مثل تُلج.

– صغيري شيكو. كم أنا مسرور برؤيتك

– أنا أكره الجدة

– وأنا أيضا!

عندما أصبح فوق الباونت، ابتهج أصدقاؤه. أراد كل واحد لمسه ليتحققوا من وجوده.

– كنت أعرف أنّك صعب المراس، قال سندباد.

– كادت أن تنال مني، قال ذلك في قهقهة، وهو يرتمي بين أحضان صديقه.

فجأة، توقف الضحك فورا. جاءت الأميرة واقتربت من الجماعة.

– لقد صلّيت لأجلك أكبر!

– أعرف أيّتها الأميرة.

– مرحبا بكَ بين ذويك.

– شكرا يا أميرة.

استولت على الطاقم فرحة كبيرة. والمرة الأولى منذ لقائهما، تصالح مارك وشيكو. صلح قصير العمر، لأنّ مارك نسي أن يذكر شيكو عندما قدم فرقته للجابس. عندئذ جن جنون العصفور. وبدأ مقاطعتهم لدرجة أنّ نكت أكبر لم تعد تضحكه.

بعد قليل، فهمت الأميرة ما يحصل، وقامت بإعلانٍ ردّ إليه بعض السرور.

– أعزائي المشاهدين يشرفني أن أعلن عن حدث كبير! يوجد بيننا هذا المساء أكبر نجم جابس إنّه شيكو!

دخل شيكو محدثا قرقعة. وبخفقةٍ واحدة حطّ فوق مطلع الدرج، مواجهًا مشاهديه.

حالما بدأ الغناء، انفجر مارك وناد ضحكًا بتكتم. اغتاظ شيكو وأوقف حفلته الموسيقية.

– لن أعرض فنّي أمام جهله!

– هيا يا شيكو، لا تبالي بهما، إنّهما يغاران منك.

– لا لن أغنى أمام هذين المتآمرين.

– هذا ليس عدلا، أنتما حسودان، لاحظ شان وهو يتوجّه لمارك وناد.

– لكننا لم نفعل شيئا. برّر المشاغبان سلوكهما.

قطع الباونت إقليم رجال الحجارة في مثل هذا الجو المرح قاصدين مواجهة أحقر وأخطر مخلوق في كل العالم.

انحنى زرطون، وهو يرتعد كورقة ميّتة أمام شاقور.

– هل طلبتني، يا سيدي؟

– نعم، يا غبي ! أين هي فاجغا؟

– لقد ماتت، قتَلها باسطران قبل أن يموتَ بدوره.

– آه، فاجغا، المخلصة أيٌّ خسارة! نال منها هذا الشيخ الماكر أخيرا. وماذا عن الأميرة زهرة وسندباد؟

– لما كنت مكلفًا بقهر العصيان، ليس لدي أخبار كثيرة عن سندباد.

– هل قهرت هذا التمرّد؟

– ليس تماما، يا سيدي.

– كيف ذلك؟

– أريد أن أقول إنّ... التمرد أصبح ثورة انضم كل قادة العشائر لماندل وزهرة.

– كلّهم ؟

– بل أنّ الأمر أسوأ! حتى بعض فيالقنا المستقرون بمنقرة ثاروا ضدّ حرسنا الحكومي.

– يا لها من أخبار سارة ! وماذا عن مركبة سندباد ؟

– آخر من رآه هو القرصان إيكار.

– أين هو إيكار القرصان ؟

– إنّه هنا، سيدي.

– أدخل هذا الأبله، يا غبي!

دخل إيكار على أربع قوائم، خافض البصر حتى لا تلتقي عيناه بعيني شاقور.

– أين هو سندباد ؟

– لقد تواجهت معه بالسيف في الطريق الذي يقود إليك.

– هل نلت منه أم أنّك هنا لتبلغني بخبر سيء آخر ؟

– الأمر أن...

– هيّا، تكلم !

– حاولنا كل شيء من أجل قتله... لكنّه وأصدقاؤه جد أقوياء.

– هربوا منكم... أليس كذلك؟

– لكنّهم لن يذهبوا بعيدا.

– كيف تعرف ذلك؟

– كان الرُحلّ في أثرهم.

– الرُّحَّل ؟ لماذا الرحَّل ؟ سأل شاقور.

– لا أعرف، لكن مع الرحّل ليس لديهم أي فرصة للنجاة.

– اسكت يا غبي! هي أشياء تتجاوزك.

واصل شاقور التساؤل نفسه عن العلاقة بين سندباد وزهرة والرحّل. طرد إيكار. لكن هذا الأخير ارتكب قبل انسحابه أكبر خطأ في حياته.

– سيدي، هل أستطيع الحصول على المكافأة الموعودة لأشتري مركبًا آخر؟

– آه ! لأنّك تظن أنك تستحق المكافأة !

– آ...ه ! اسحب ما قلت ! لقد فلتت مني...

– ستحصل عليها مكافأتك !

– لا سيّدي ! أتوسّل إليك، لا ! لا ! لا !

– هاهي مكافأتك !

رفع إيكار عينيه نحو شاقور حتى يتوسل إليه، لكن فات الأوان. فقد انطلق من يدَي شاقور الممدودتين، شعاع أخضر رقيق جدّا تسرّب إلى أذنيه وفجّر طبلاته تماما.

حاول بكل قواه إيقاف الضّغط المفاجئ الذي يغمره من الداخل. تقلّصت يداه وتضاعف حجم شرايينه وانفجرت عروق عينيه وتوسّع منخراه وتمدد فمه وانفرج، فانفصل فكاه وتشقق بطنه وأخذته رعشة عنيفة، وانفجر جسده وتناثرت قطع لحمه في كلّ الاتّجاهات.

دارت أحداث المشهد أمام أعين زرطون المرعوبة.

– زرطون!

– نعم، سيّدي!

– حسب رأيك، لماذا يتبع الرُحَّل مركب السّندباد؟

– يقينا من أجل المكافأة. لقد وعدت بقيمة مالية كبيرة من أجل قتلهم.

– لا، إنّ المحرم هو الذي يقلقني، إنّه ليس قناص مكافآت.

– هل تعتقد أنّهم سيساعدون سندباد ليعثر على إقليمنا ؟

– ربما! إنهم يعرفون هذا العالم جيدًا، لست مطمئنّا كثيرًا.

– على كلّ حال، لا يمكنهم أن يفاجئونا، نحن في كوكب منحرف المركز، والطرق الأربعة التي توصل إلينا مؤمنة واصل زرطون مطمئنّا.

– على يسارنا، يوجد إقليم أرضي بدوامة قوية لديها القدرة على ابتلاع كوكب، على يميننا إقليم نار جهنّم وخلفنا إقليم رجال الحجارة المنيع. قبالتنا، وضعتُ حرسًا مهيبا، مع مجموعة بطاريات تشتغل عند ظهور أدنى الحركات المشبوهة.

– هل تحقّقت من جودة اشتغال أجهزة الكشف؟

– لقد وضعنا عدّة أنظمة فعّالة. الدويلر، ومِرسمة الطيف، وناقل الصدى ومضواء يعطينا صورة في كل لحظة اطمئن سيّدي فلن تفلت حتى إبرة من رقابة أجهزتنا.

– آمل ذلك من أجلك.

عندما غادر زرطون القاعة، أعاد شاقور التّفكير في سرّ متابعة الرحّل لسندباد. وبدأ يشكّ في ضمانات زرطون، عندئذ استدعاه من جديد.

– زرطون!

– نعم، سيّدي!

– أرسل طوافًا على طول حدود إقليم رجال الحجارة.

– حدود إقليم رجال الحجارة !؟

– هل تناقش أوامري ؟

– لا سيّدي! أمرك، سيّدي!

من أعلى جبل، كان مقاومو الباونت وهم يحملون ألبستهم الواقية، يراقبون قلعة شاقور المدهشة والمرعبة.

– ها هو جحر ابن آوى! قال سندباد لرفاقه.

– قلعة الشر! أقرت الأميرة بدورها.

حذر شان أصدقاءه:

– انظروا ! طواف يقترب منّا.

– هي فرصتنا، يجب أن نستولي على مركبتهم.

– ماذا لو نهاجمه، أكبر وأنا، بشكل مفاجئ ؟ اقترح شان.

– حسنا، وافق سندباد.

انطلق الصّديقان بنشاط لإعداد الكمين، بقي سندباد وحده مع الأميرة. قال في نفسه ربمّا هي الفرصة المناسبة للبوح ببعض الأمور التي كتمها.

بقيت زهرة، التي شاهدت ذهاب الجسورين، بقيت شاردة الذهن، وعيناها في الفراغ.

– لا بأس عليك يا أميرة ؟ أتوجد مشكلة؟

– مشكلة ؟ لا، لماذا ؟

– لا أعرف... أظن أنّك تغيّرت منذ لقائك مع المحرم. أصبحت بعيدة.

– بعيدة ممّن ؟

– منا جميعا ومنّي بالخصوص.

– ربمّا... سامحني، لكني مررت بفترة شك عصيبة.

– هل أسأتُ إليك في شيء ما؟

– لا ! هذا ليس له أيّة علاقة بك. بل على العكس، بدونكَ كنت سأضيع.

أحس سندباد نفسه خفيفا فجأة، موجة انفراج ارخت كلّ عضلات جسده. تماسك وجمع كل قواه واغمض عينيه وقال لها ببساطة.

– يا أميرة ! أنا أحبك.

– آه ! هتفت الأميرة وهي تضع يدها على فمها من شدة الحياء، هذا شرف كبير لي.

– عفوا، يا أميرة...

– آه سندباد ! لو تعلم كم أنا فخورة بهذا التّصريح، أنت أوّل من أحببت في حياتي.

– أوّل من أحببت؟

– نعم ! منذ لقائي مع المحرم، لم تعد دلالة الأشياء والمعاني، هي نفسها بالنّسبة لي، كلّ شيء مشوش برأسي.

– لكن ماذا حدث هناك ليتغيّر حتى معنى الحب؟

– الحب ليس له معنى، لكن أنا أخاف فقط ألا أكون في المستوى.

– إلهي! لماذا أنت قاسية مع نفسك؟

– كُلفتُ بمهمّة صعبة، تتجاوزني ولا تترك لي وقتا لأتمتّع بأشياء أخرى.

لم يكن سندباد راضيا تماما بالشّروحات التي قدمتها الأميرة لكنّه، تأكّد من أنّها تحت ضغط كبير. قرّر عندئذ أن لا يراعي حالتها، وقال في نفسه الأهم بلغته: لقد لمحت له بأنّه حبّها الأول.

– آسف إذا كنت قد استعجلت الأمور. لنحل أوّلا مشكل شاقور ونري البقية لاحقا.

– سندباد !

– نعم..

– أنا...

– أنا أفهمك يا أميرة.

أمر رئيس الحرس الطواف داخل المركب المصفح جنوده بالانتباه وإطلاق النّار دون تردد على أدنى حركة مشبوهة.

– قال أحد الحرس لرفاقه عندما ابتعد رئيسهم عنهم، أنا أكره هذا المكان.

– لا أتصور من هو هذا المجنون الذي يغامر لعبور هذا الإقليم الملعون. قال جندي آخر.

– يبدو أنّنا إذا تجاوزنا هذه الربوة، سنتحوّل إلى حجارة.

– بِرْرْرْ! ارتعد خوفا أحد المجنّدين.

– أيّها الجبناء، سأقوم أنا بدورة الحراسة! قال جندي ثالث كان واقفا على انفراد.

– كما ترغب يا شجاع، أجابه آخر.

لامس المركب الأرضَ لإنزال الجندي المقدام على أرض محصبة، تساءل لِمَ نكون جنودًا طوافين إذا كان أقل شيء يثني عزيمتنا. كان يمشي وهو يُقسم مُديرًا رأسَه صوب رفاقه، عندما صدم شان الذي تظاهر بأنّه تمثال حجري.

– من القادم؟ قفز الجندي خوفا.

– لا تلمس هذا التّمثال وإلاّ ستحوّل إلى حجر! أجاب أكبر الذي تخفى وراءه.

– لكنّني لمسته ! أقسم أنّني لم أقصد.

– إنّها غلطتك. ستصبح تمثالا حجريا.

– أتوسّل إليك، لم أتعمّد ذلك. اعفُ عنّي وسأفعل كلّ ما تريد.

– قل كم عددكم في المركب الطّواف؟

– نحن ثمانية، أنا من بينهم.

– أدخلني إلى المركبة وسأحوّل رفاقك إلى تماثيل حجريّة.

– وأنا؟

– هذا سيتوقف عليك.

احتذى شان وأكبر خطوات الجندي تجاه المركب.

– مَن القادم؟

– افتح يا غبي! هذا أنا، شيبا!

– أدخل وأوقف حماسك، ستنتهي بجلب السوء لنا.

حالما انزلق الباب، قفز شان وأكبر إلى الدّاخل بالباتر والسّيف في اليد. لم يملك الجنود الوقت

للرّد على هجوم الرّجلين السّريع والصّاعق اللّذين استحوذا على المركب، بعد القضاء عليهم.

تجاوزت الأحداث الجندي شيبا، الذي بقي مسمرا في ركن.

– لنذهب لإحضار سندباد والآخرين قال أكبر.

سـ سـ... سندباد ! أنتم... رفاق سندباد الذين نبحث عنهم؟ قال شيبا.

وا أسفاه، إنّه حظّك رد عليه شان.

– إذن... التّمثال الحجري لم يكن سوى خدعة.

– ربّما تفضّل شفرة سيفي ؟

– لا، لا ! أستطيع أن أفيدكم إذا عفوتم عني.

– وكيف ذلك؟

– أساعدكم في الدّخول إلى القلعة.

– حسنا ! إذا حاولت المراوغة، قطعتُ عنقك! حذّر أكبر.

استقلّ أكبر وشان ومارك والأميرة زهرة وسندباد والجندي شيبا المركب الطّوّاف. وبقي مختار وناد وشيكو في الباونت احتياطًا.

عندما بلغ المركب الطّوّاف سور مركز القيادة، وضع أكبر شفرة سيفه على عنق الجندي شيبا.

– حذار من أي مراوغة!

أعلن شيبا عن قدومه من مُرسلِه.

– هنا الطوّاف ك 17! يطلب الإذن بالدخول.

– طوّاف ك 17 كان يجب أن تكون عند حدود رجال الحجارة. لم يسمح لك بمغادرة موقعك قبل التبديل!

– تعرضنا لعطب. سنرجع بعد التصليح مباشرة.

– قدم تقريرا عن الأضرار!

– تعطل ملقط كاشف الموجات! دون هذا الملقط لا نستطيع مراقبة كل الحدود.

– اصبر قليلا! سنبلغ تقريرك للضابط المداوم.

توقف الصوت الآتي من المكبر فخلّف صمتا ثقيلا. سبّب الانتظار شيئا من القلق لدى أعضاء الطاقم. ضغط أكبر من جديد الشفرة على رقبة شيبا ليبين له حزمه.

فجأة سمع صوت.

– ترخيص مقبول! أيّها الضابط ك 17، يجب أن تمثل أمام مسؤول الأمن لتبرر سبب هذا العطل!

– أمرك ! أجاب شيبا بصوت واضح.

فتح باب ضخم مدرع من خليط صلب ومن ثم سمح للمركب الطوّاف بالدخول إلى قناة طويلة

مضاءة بنور برتقالي. عندما لم يعد المركب الطوّاف يسيطر على أجهزة التحكم في مراقبته وتوجيهه، اُمتص بسرعة كبيرة ثم توقف فجأة أمام باب فتح آليّا مما مكّنه من الدخول في أنبوب حلزوني من زجاج شفاف، حتى يصل إلى مسطحة. تضفي إلى نصف كرة ضخمة من معدن أبيض لامع. كان سندباد وأصدقاؤه منبهرين بعظمة جهاز الأمن، فكّروا أنّهم ما كانوا لينجحوا مطلقا في الدخول بدون شيبا.

– ما هذا ؟ سأل سندباد شيبا، مشيرا إلى نصف الكرة حول المركز.

– إنّها "الكونتيما"! مولدات ضخمة تنتج وتوزع الطاقة على بعد لكل المراكب وتغذي بطريات الأسلحة الثقيلة والخفيفة، شرح شيبا.

– وإذا توقفت هذه المركزية عن الإرسال هل تُشل كل مراكب شاقور؟

– نعم! وحتى أسلحة الفيلق وأسلحة الحرس الحاكمي تصبح غير صالحة للاستعمال.

– إذا حُرم شرطة شاقور من عدتهم الحربية المروعة، سيستسلمون أمام المقاومة. لاحظت الأميرة.

– يجب تدميرها، أمر سندباد أكبر.

– إنّ "الكونتيما" منيع. لا يفتح إلاّ بعد تفحص مسيّري الآلات للهوية البيولوجيّة للقادمين شرح شيبا.

– سأذهب مع أكبر، ربّما استطعت فعل شيء في أحشائه، اقترح مارك.

– موافق، ابذل قصارى جهدك يا مارك.

وافق سندباد ثمّ اتّجه من جديد نحو شيبا.

– أين يوجد شاقور ؟

– في أعلى البرج.

– وكيف يمكن بلوغه ؟

– لا يوجد إلاّ مدخل واحد، يسمى طريق الموت.

– حاول أن تكون أكثر دقة.

– قبل الوصول إلى إقامته، يجب عليكم أوّلا مواجهة حرسه الخاص، المشكّل من أحسن المقاتلين في كل المجرة. وحتى إذا تمكنتم من تجاوز هذا الحاجز فلن تستطيعوا فعل شيء في مواجهة الممسوخين.

– من يكون هؤلاء الممسوخون ؟

– مخلوقات مشوّهة بيولوجيّا.

لاحظ شاقور خِفّتهم، قد جنّدهم ثم روّضهم كحيوانات مفترسة، إنّهم مرعبون!

– شكرا شيبا! مساعدتك كانت مفيدة لنا. يمكنك أن تتظاهر بالموت والاختفاء بهدوء.

– كنت ميّتا قبل أن ألقاكم وقد أحييتموني. امنحوني فرصة القتال إلى جانب الأميرة زهرة لأموت كريما.

– ليرحمك الله! دعت الأميرة.

– حذار، حالما يفتح الباب سيأتي جنود لتفتيش المركب.

– فهم سندباد ورفاقه الرسالة كاملة. عندما فتح الباب وثبوا على الجنود. كانت المفاجأة كبيرة بحيث لم تترك أدنى فرصة لخصومهم لإطلاق سفارة الإنذار. قرر سندباد ورفاقه أن يكونوا بلا رحمة، إن هم أرادوا بلوغ هدفهم.

بعد أن تخلصوا من المفتشين راحوا يجرون كل في اتجاه محدد، متخلصين من كل مواجهة يجدونها في طريقهم. توجه أكبر ومارك وشيبا إلى "الكونتيما". أمّا سندباد وشان وزهرة فواصلوا الجري تجاه رواق الموت.

يجب التحلي بمهارة كبيرة وشخصيّة قويّة لمواجهة كل هذا العالم المرعب. فوجئ الحرس الخاص شاقور بدوره بهذا الهجوم. لما كان ميدان المعركة في غير صالح المحاربين الثلاثة، فقد

قرروا الضرب بقوة دون تمييز حتى لا يتركوا الوقت لخصومهم كي يتمالكوا أنفسهم. رغم هذا، كان هؤلاء الحرس مدرّبين تدريبا جيّدا فواجه الأصدقاء الثلاثة مقاومة لم يتوقعوها. أمام القوة الفظة وعنف الحرس العادي، استعمل سندباد ورفاقه الخفة والدقة حتى يحافظوا على قوتهم إلى أقصى حد. درس شان في مدرسة طه، مختلف أنواع الصراع، فهو يعرف إذن الطريقة اللازمة في مثل هذه الحالة. مكّنه تركيزه من تقسيم جسمه إلى عدّة أجزاء مستقلة، وهو ما سهّل له كل خدع التّثبيت، وحركات الهجوم المضاد في هذا المكان الضيّق. سمح له هذا أيضا باستخدام حد أدنى من الحركات بحد أقصى من الفعالية.

استعمل شان كل التقنيات التي بحوزته، من ركلات، ولكمات، وضربات مطرقة وتثبيت ومرفق، وركل، وقفزات مقص، ووقوع وتدحرج. أضلّ خصومه. وكان الأخطر مهارته في استعمال السيف ورمي الخناجر الرفرافة.

على مسافة قريبة، تدثر سندباد بدرعه وانقذف كخذروف وسط مجموعة جنود متراصين. سبب هو الآخر بفضل حدسه ورشاقته خسائر كبيرة لشاقور.

– حذار يا أميرة ! صاح شان.

ما كادت تسمع صياح شان حتى انبطحت أرضا بانفراج كبير وتفادت بذلك ضربة قطّاعة كانت موجهة لها من خلف. في الوقت الذي أحسّت فيه بالضربة تمر فوق رأسها، ضبطت ردّها وأدخلت سيفها في بطن المعتدى عليها. رشاقة حركاتها المعقدة تدفع للظن بأنّها بدون هيكل عظمي. كانت الأميرة ثاقبة الفكر، وكانت ضرباتها جد فعالة، فهي تصوّب إلى النقاط الحيوية فتشلّ كليّا أو جزئيا مهاجميها.

المثابرة والرغبة في الانتصار سمحا لسندباد ورفاقه بالوصول إلى نهاية الرواق. الممر المغطى بالجثث يبين أنّ القتال جرى بعنف نادر. فهم الذين نجوا من الموت فهموا أنّهم يواجهون محاربين نادرين، فألقوا بأسلحتهم عند أقدام المحاربين الثلاثة، علامة استسلام بلا شرط.

لم تُنقص الجروح العميقة على أجساد المحاربين الثلاثة من عزمهم على الذّهاب حتى إنجاز مهمّتهم كاملة.

كان أكبر وشيبا من جهتهما يتقاتلان كالمجانين ضد الحرس الليلي لمركز الطاقة بينما كان مارك يحاول فك رموز الدخول.

– هيّا يا جميلتي، لا تخذليني أرجوك...

كان مارك ووجهه يرشح عرقا، يحدث جهازه الصغير الذي كان يَظهر على شاشته عدد لا يحصى من التّركيبات.

هل انتهيت يا مارك؟ صاح أكبر الذي كان يحاول الصمود أمام خصومه الكثيرين.

– أنا أبذل قصارى جهدي.

– أسرع!

– ما كان أكبر ليتهرّب أبدا حتى عندما يشعر أنّ المعركة غير متوازنة. استولى على سيف طويل وليبقي أعداءه بعيدا عنه كان يديره فوق رأسه.

كان شيبا سليل أسرة من طبقة محرومة من سكان حدود منقرة، وقد تجنّد شيبا في الجيش لتكوين نفسه وليؤمن عيش أسرته. في البداية، بذل مجهودات كبيرة حتى يَبرُزَ، وهو ما مكنه من الانضمام إلى فيلق خيرة الطّوافين. عندما اكتشف أنّ الحياة التي كان يحلم بها لا تشبه الحقيقة، تلاشي حماسه بسرعة. لم يتحسن وضعه المادي، وساءت ظروف أسرته ولم يكن الصراع الذي يخوضه سوى قهر لذويه، شعر أنّه وقع في الفخ وتعرض للخيانة، حاول شيبا وضع حد لحياته عدّة مرات وذلك بالتطوع في مهام خطيرة. الموت بالنّسبة إليه تحرر،وأنّ القتال إلى جانب زهرة

فرصة له حتى يختار موتا كريما. واجه باقدام رفاق فرقته القدامى.

– تعالي... أحبك... همس مارك الحاذق لجهازه.

– هل انتهيت يا مارك ؟ لم أعد استطيع ايقاف تقدمهم، صاح فيه أكبر.

– اصبر قليلا ! إنّها تتدلّل.

– فَجِرْهَا !

– إنّها آتية، لقد جاءت، أشعر بها. نعم ! جيّد ! نجحت ! نجحت ! لقد فتحت! قفز مارك فرحا عندما سمع قرقعة الباب.

شُقَ باب "الكونتيما" قليلا، دخل مارك وشيبا بينما واصل أكبر صدّ مهاجميه.

عندما أصبحوا بالداخل، أطلقوا إوالية غلق الباب.

عندما رأى الستة الذين كانوا يشغلون مركز الطاقة أكبر والآخرين كانت مفاجأتهم كبيرة.

– من أنتم ؟ من سمح لكم بالدخول إلى مركز الطاقة ؟ هذا المكان ممنوع على الغرباء ! صاح فيهم شيخ ضعيف هزيل، تغلّف وجهه لحية وشعر أبيض كثيف يظهر عينين كرويّتين تبرزان من خلف نظارات كبيرة موضوعة على أنف خشن.

– اجلس ! أنا من يطرح الأسئلة هنا !

هدده أكبر وهو يلاطف لحيته بحد سيفه.

– لكن...

– اسكت ! من المسؤول هنا ؟

– أنا ! أجاب الشيخ الأشعر.

– من أنت ؟

– أنا الأستاذ كيرون، أنا أدير "الكونتيما". ماذا تريدون منا ؟

– ماذا يعني "الكونتيما"؟

– ننتج طاقة مستقطبة، ونرسلها عبر إشعاع مطّرد حتى يلتقطه المجال الالكترومغنطيسي للمستعمِل.

– ساعدنا على تخريب "الكونتيما". وسوف أُبقي على حياتك.

– ماذا ؟ هل تدرك ماذا تقول؟

– تماما يا أستاذ.

– أنا لست متأكّدا، وإلاّ كنتَ ستمتنع عن قول مثل هذه الحماقات.

– قل لي يا أستاذ ! أنت سعيد بخدمة شاقور ؟

– ليس لي من خيار، ليست المشكلة هنا.

– إذن أين هي المشكلة ؟

– هل لديك فكرة عن النتائج التي ستنجز عن انفجار "الكونتيما".

– لا !

– كنت أشك في ذلك ! أقول لك يا سيّدي إن حدث هذا، سيُدمر الكوكب بأكمله.

– هل ستندم على هذا الكوكب الملعون ؟

– لا تجعلني أتفوّه ببعض الحماقات.

– إذن ساعدنا على وضع حد لهذا الرعب بتخليص البشريّة من هذا الوحش.

– الأمر معقّد نوعا ما. لكنّي أكرّر يمكن أن تكون كارثة.

– اهتم بالانفجار، سأتكفّل بالباقي.

– أعطه المتفجرات يا مارك.

– مفرقعاتكم لن يكون لها أي أثر على "الكونتيما".

– ماذا يجب أن نفعل ؟

– يجب أن نجمع كل الطاقة الصادرة عن عمليّة التّحول وإرجاعها إلى المولّدات العملاقة لنحدث ارتكاسا نوويا متسلسلا. لكنّ أحذرك، لا أريد أن أكون في أي حال من الأحوال مسؤولا عن الخسائر.

– موافق، أتحمل المسؤولية، قال أكبر مهدّئا.

بعد استسلام آخر الحرس، سلك سندباد ورفاقه رواقا آخر جريا ليصلوا إلى قاعة دائرية ضخمة تشبه

سراديب أموات جدرانها خشنة مقشّرة، أرضيتها من التربة المحروثة، مختلفة عن الأروقة المغطاة برخام شواهد القبور الأسود. حذرت رائحة حيوانية مقززة المحاربين الثلاثة الذين وضعوا ظهورهم مستندة إلى بعضها البعض ليحموا بعضهم بالتبادل.

– ماذا يمكن أن يكون هذا ؟ سأل شان.

– ليس لدي أي فكرة، لكني لا أحب هذا كثيرا، أجاب سندباد.

– حذار انّهم الممسخون ! صاحت فجأة الأميرة زهرة.

– فات الآوان !...

نجم مخلوق بشكل غريب من لا مكان، أمسك بسندباد وطار من جزء من الحائط إلى الآخر وهو يطرق رأسه على الحواجز.

أمّا شان الذي أذهله السلوك فقد قذف أرضًا على بعد عدّة أمتار بضربة صاعقة في الظهر...

أحسّ سندباد رأسه ينفجر من شدّة الصدمة وكان يلزمه وقت طويل ليتمالك نفسه، ووقت آخر ليسترجع وعيه. كان هناك من فوقه كائن ضخم برأس صغيرة، وذراعين طويلين عضليين وساقين قصيرين جدّا، يهلل. من بعيد لمح سندباد شان وهو يحاول التخلص من ثلاثة وحوش يحاولون الامساك به.

حاول سندباد الوقوف من أجل مساعدة صديقه، لكنّ ألما فظيعا يسري في كل جسمه كان يشلّه سمع صرخة استغاثة، لكنّه لم يستطع معرفة مصدرها. سمع صراخا ثانيا، لكن هذه المرة تبيّنه. رفع رأسه فرأى الأميرة تتخبط بين وحشين داخل كوة في الحائط أثار فيه صراخ الأميرة إرادة خارقة لتجاوز ألمه والتغلب على شلله.

قام بدورة كاملة وانقذف فوق الوحش الذي حاول أن يوجه له ضربة قاضية. وفي خضمّ الحركة نفسها، خفف وقوعه، وأمسك سيفه وغرّزه في بطن الوحش الذي عاود الهجوم. تبين سندباد وهو يسحب سيفه أنّ المعتدى لم يتأثر بالضربة القاتلة التي وجّهها له. بل، على العكس من ذلك، ضاعف عنفه. بكف يده، وجه الوحش ضربة لسندباد على الجانب الأيسر، كانت ضربة قوية إلى درجة أنّه انقذف على بعد عدّة أمتار. عندما اعتدل شعر بألم حاد، نظر عندئذ إلى كتفه الأيسر الذي كان ينزف بغزارة.

وهو ينظر إلى أحد الوحوش يتحرك بخفة على طول الحائط عموديا، تساءل سندباد كيف يمكن لجسم بهذه الضخامة أن يتحرك على حيطان مثل عظاية.

عندما اقترب المهاجم منه، لاحظ فوق كف يده شعرا صلبا يشبه مسامير منحنيه قليلا. فهم في تلك اللحظة أنّ سر قوتهم يصدر بالتأكيد من أذرعهم وأيديهم. انتظر حتى يصبح الوحش على مقربة منه ليوجه له ضربتين دقيقتين على ذراعيه. تحت وقع الصدمة، انهار الوحش عند قدمي سندباد.

– شان، اضرب على الذراعين ! على الذراعين.

– إنّهم لا يقهرون !

– لا، إنّ نقطة ضعفهم في الأذرع، اضرب على الأذرع.

– خمسة على خمسة ! أكّد شان.

– النجدة ! ساعدوني ! صاحت الأميرة ثانية.

وجّه سندباد سوار ذراعه تجاه الأميرة، فبرز خطاف وانغرس في ظهر الوحش الضخم. تسلق سندباد بفضل الخيط الذي يوصله بالخطاف إلى الكوة ووجه ضربتين لذراعي الوحش. انهار هذا الأخير من أعلى مجثمه.

عندما استدار الوحش الثاني لمواجهة سندباد، كان للأميرة الوقت الكافي لإخراج خنجرها من غلاف جزمتها وغرزت خنجرها في ذراعيه مرتين متتاليتين وبضربة "مواشي ڤيري" حادة. رمته من فوق الكوة.

– آسف ! تأخرت.

– يا له من رعب ! هتفت الأميرة.

قفز سندباد والأميرة من أعلى الكوة لمساعدة شان المحاط بثلاثة ممسوخين.

لم يجد سندباد ورفاقه أيّة صعوبة في التخلص من الوحوش بحكم توازن الحظوظ، ومعرفتهم بنقاط ضعف خصومهم.

كانت منقرة في هيجان شعبي، كلّ الشوارع مترسة بمختلف الأشياء لإيقاف زحف جنود فيلق شاقور. بعد النداء الذي أطلقه ماندل للثورة، التحق كل سكان طريق نيغا بالمقاومة. وعصت أغلب العشائر قادتها الذين فضلوا انتظار بقية الأحداث ليأخذوا قرارهم.

أغلبية رؤساء العشائر، الذين استفادوا من النظام المفروض من الماهون المرتشي، تحالفوا صراحة مع جناح القوة وانحازوا إلى جانب حرس الدكتاتور ضد شعوبهم. كما أنّ القراصنة والأفاقون وعلى رأسهم دورا، انحازوا هم أيضا للجهة نفسها، تلك التابعة لشاقور.

أمام مثل هذه الوضعية، كان أوّل شعار رفعه ماندل هو الاستيلاء على الماهون. يجب بعدها

التخلص من الأوليغارشيا بطرد أعضاء المجلس المرتشين وتنصيب مجلس استعجالي، يأخذ على عاتقه بشكل قانوني القرارات الكبرى الخاصة بمستقبل الشعوب. سيوجّه كذلك نداء للثّورة المسلّحة لكي يتمكّن الجنود وكل الوطنيين الذين يرغبون في ذلك من الالتحاق بصفوف المقاومة. كان تشوفسكي هو منسق مختلف الفرق التي يجب أن تقاوم بأي ثمن الفيلق والحرس الحاكمي. رغم رغبته في الانتصار، كانت المقاومة عنيفة وغير متوازنة في أغلب الأحيان. وإنّ الشجاعة والتضحية هما مع الأسف مرادفين أغلب الأحيان للإخفاق أمام التّفوق العددي ووفرة الأسلحة لدى الفيالق. حاول تشوفسكي بعض الغارات هنا وهناك لكن الفوضى كانت التي تسيطر على تنظيمه جعلته يخسر كثيرا من الرجال. كانت الأسلحة تنقصه، وكان المتمرّدون يقاتلون في أغلب الأحيان بدون سلاح ضدّ آلات حربية صاعقة.

مع أن النضال كان يبدو خاسرا مسبقا، إلاّ أنّ المقاومة بدأت تنتظم وصفوفها تكبر. التحق كثير من المدنيين بمختلف الشبكات. هم يعرفون جيّدا منقرة. وكان التحاقهم يمثّل كسبا ثمينا، من أجل قيادة حرب عصابات مدنية. جاء متطوعون من كل مكان، حتى من الأقاليم البعيدة عن نيغا، جاؤوا في

أغلب الأحيان بكل ما يملكون ووضعوه تحت تصرف الثورة. لم تشهد نيغا اتحادا بمثل هذه التلقائية، حتى في عهد العظيم جمان.

كثير منهم تقنيون يعرفون جيّدا تنظيم منقرة، يعرفون مداخلها، وموارد طاقتها. وأنظمة المراقبة، وتنظيم نفق نيغا، ومراقبة ميناء ملاكو، والنقل...

وشيئا فشيئا بدأت السّيطرة في منقرة تنتقل إلى أيادي أخرى.

الشيء الوحيد الذي لم يقدر عليه المقاومون هو فتح جبهة على نطاق واسع ضدّ الحرس الحاكمي. وذلك أمر أساسي لقطع وصول الطاقة للحرس المتصلين مباشرة بـ"الكونتيما" الذي يوفر لهم قوة نار غير محدودة.

كان المقاومون يعون ضعفهم وصعوبة فتح هذه الجبهة، لذا عوّلوا على إنهاك أعدائهم نفسيا. بدأت حرب غير مرئية حينئذ ولا بد أن تزعزع مع الوقت تنظيم شاقور الفعّال.

ماذا ؟ هم عندي ؟ في مسكني ؟

– سيسحقهم الممسوخون، أكّد زرطون منحني الصلب أمام سيده.

– أسكت يا غبي ! كل هذا بسببك.

– كيف يمكنني أن أتنبأ بعبورهم لإقليم رجال الحجارة.

– إذا نجحوا في عبور إقليم رجال الحجارة هذا يعني أنّهم يملكون بالضرورة قدرة عجيبة.

– نعم سيدي، ليسوا كائنات عادية.

– أي قدرة لديهم ليجرؤا على أن يتحدّوني في معقلي ؟ تساءل شاقور.

– قوة الخير ضدّ الشر ! ردّ سندباد.

– آه ها أنت ذا أخيرا ! قال شاقور متوجّه إلى سندباد وأصدقائه.

– أخرج زرطون سيفه من غمده ولوّح به في وجه الدخلاء الثلاثة.

– اغمد سيفك يا غبي ! أمره شاقور، ثم أعلن للمحاربين الثلاثة.

– أهلا بكم في مسكني ! أنت إذن هو سندباد، الرعب الجديد، النّاس لا يقسمون إلاّ بك في منقرة.

– في عالمي لا نقسم إلاّ بالله ! أجابه سندباد

– ها ! ها ! لماذا تتحدث عن شيء مجرّد، لا تعرفه؟

– الله في كل شخص يؤمن به !

– أقول لك أن... أعد عليّ اسمه. آه !... أتذكر ربك لا

وجود له. بالمقابل أنا حقيقي وكريم. إذا انضممتم إليّ سأنصب الأميرة على العرش و ستكونان سيّدا العالم.

– لا، شكرا، لا أريد مملكتك، مملكة الظّلام ! ردت عليه الأميرة.

ها ! ها ! أميرتي ! إذا لم تحصلي على عرش، سيكون لك شاهدة قبر.

– وأنت سيكون لك الجحيم ! ردت عليه الأميرة.

– كيف ستحقّقين ذلك يا لطيفتي ؟ أنا سيد الجحيم. ربما تتكلين على سندباد ؟ إلى حد الآن لم يقاتل بحّارك، بحار المياه العذبة إلا بشرًا ضعفاءَ مغمورين، إنّه لا يخيفني إطلاقا.

– مكانك ليس هنا ! وبفضل الله سأرسلك إلى عالمك. هناك ستحترق إلى الأبد، قال سندباد.

– ها ! ها ! أرني كيف ستفعل !

– سلّ سندباد سيفه وصوّبه إلى جذع شاقور.

– لديك سلاح جميل. لكنّه لن يحميك مني.

قبل أن ينهي الجملة غرز سندباد كلّ سيفه في صدر شاقور.

– ها ! ها ! بدأ شاقور يضحك هازئا.

أخرج سندباد سيفه، لا أثر لقطرة دم.

كرّر العمليّة وقطع هذه المرّة شاقور إلى ثلاث قطع.

استرجع شاقور شكله الأوّل وواصل الضّحك هازئا من محاولات سندباد العديمة الجدوى.

حاول زرطون تقديم يد العون لسيّده، لكن سرعان ما قضى عليه شان، وبدأوا بضرب شاقور دون توقف. لكن هذا الأخير لم يتأثّر.

أحس شان يد تُربّت على كتفه الأيسر، أدار رأسه فرأى شاقور. ودار مرّة ثانية فرأى وشاهد أصدقاءه في صراع مع شاقور آخر. غرز شان سيفه في بطن شاقور وعندما حاول سحبه، لم يستطع وبقيت يده ملتصقة بسيفه.

في هذه اللّحظة رأى رأس شاقور يتحوّل إلى ثعبان سام. أصابه هلع، حاول أن يتخلص. لكنّ الثعبان لدغه في جبهته.

رأى سندباد وزهره شان متجمّدا بفعل اللّدغة. جن جنونهما، فتخلّصا من شاقور الأوّل وهجما على الثّعبان الذي زاد حجمه تحت وقع عنف الضربات، بصورة مذهلة.

ظهر الرعب في عيني سندباد وزهرة.

– أين هو الجاوي؟ سألت الأميرة سندباد.

- تظنّين أنّ الجَاوي له أثر على هذا الحيوان النجس ؟

- كتب الأسلاف تقول إنّ الجاوي يطرد الأرواح الشّريرة. أحرقه، أمرت الأميرة سندباد.

حالا أخرج سندباد من كيسه الحجر الأسود الرّمادي الذي سلّمه إيّاه هارون الرّشيد في بغداد.

- أسرع يا سندباد، ستلتهمنها هذه الآفة !

غرز سندباد شفرة خنجره في الحجارة، أخذ مشعلا وأشعل الجاوي، لكنّ الحيوان المقزز واصل تقدّمه نحو غنيمته.

- ليس لدينا أي حظّ في التّخلص منه ! صاح سندباد.

- واصل إحراقه ! لا تتوقّف !

شيئا فشيئا، انتشرت رائحة البخور وغمرت كلّ القاعة، وفجأة تردّد الوحش وبدأ يترنّح.

- انظروا ! إنّه يركس تحت تأثير الجاوي ! أكّدت مرّة ثانية الأميرة.

- نعم ! لم يعد يريد مهاجمتنا !

- إنّه يتراجع.

- يا أميرة خذي الجاوي وتقدّمي ورائي ! سأهاجمه بالسّيف.

كان البخور في يد زهرة، يغمر القاعة وسندباد يغتنم الفرصة ليوجّه ضربات للحية المخيفة التي كانت تصدر صراخا مريعا، تضاعف بأنات برزت من أحشاء الأرض. واصل سندباد الضّرب بكل ما أوتي من قوّة، حتى زهرة راحت تقطع الوحش اربا اربا. ألقت بقطعة بخور محرق في فمه المفتوح، فازداد صراخ الوحش. فجأة أحس سندباد وزهرة بهزة أرضية تحت أقدامهم وانشقّت الأرض.

أنبعث من اللجة صراخ مخيف وظهرت أيد وأرجل مجسية، استولت على الحية وجذبتها إلى عمق الظلمات. قاوم شاقور بكل قواه حتى يفلت منهم. خرج ثانية فجأة وأمسك بجسم زرطون الذي حاول التّخلص من قبضة سيّده. تمكّنت الآفات من جرّه إلى الأسفل.

اختفى شاقور وقد امتصّته الهاوية بدوره وجرّ معه زرطون. انغلقت اللجة على صياح ضعيف، تاركا خلفه صدى غريبا.

حلّ سكوت خانق.

انهار سندباد وزهرة من شدّة التّعب عندما اقتحم أكبر ومارك القاعة.

– أنتما بخير ؟ سأل أكبر أصدقاءه.

– انتهى ! اختفت الآفة النّجسة إلى الأبد قال سندباد. قبل أن يستدير نحو الأميرة.

– قفي يا أميرة، لقد ربحنا، ذهب شاقور إلى الجحيم.

– أين هو شان ؟ سألت زهرة قلقة.

جرى أكبر إلى جثة شان الهامدة. قلّبه ولاحظ اللّدغة.

– إنّها لدغة ثعبان سام إنّه يحتضر، قال أكبر.

– ليس لدينا مضاد لسم الثّعبان، قالت الأميرة.

– آه، هكذا !

– لأنّه لا يوجد عندنا حيّات.

– يجب نقله إذن بسرعة إلى الباونت ! لدي عشبة إفريقية يمكن أن تنقذه.

– يجب مغادرة هذا المكان بسرعة ! سينفجر من حين لآخر، حذر مارك.

حمل أكبر شان على كتفه وبدأ يجري مع رفاقه على طول الرواق المملوء جثثا.

عند مدخل الممر الأنبوبي، التقوا بالأستاذ كيرون ومساعديه في مركبة كبيرة سرقوها من الجنود الطّوافين.

– بسرعة، اركبوا ! بدأ العد التّنازلي.

التّسارع داخل الممر الأنبوبي قذف المركبة خارج القلعة وكان شيبا يوجه الباونت. شغل سندباد مرسله واتّصل بمختار.

– مختار! شغّل نظام الملاحة السّريع.

– الجميع بخير؟ سأل مختار.

– شان عضه ثعبان سام.

فتح الباونت درع الحماية واستعد للتّسريع من أجل تجاوز مختلف جدران الصّوت. في اللّحظة نفسها، حدث انفجار مريع. تكونت كرة نار وتعاظمت عند كل تفجير. تشكّلت موجة صدمة صاعقة فأمر الأستاذ كيرون سندباد بزيادة السّرعة.

– انتقل إلى سرعة الضّوء، وإلاّ سنسحق!

– أنا أبذل قصارى جهدي.

– رغم أنّ الباونت قد غادر الكوكب منذ مدّة فإنّ موجة الصّدمة انتشرت بسرعة كبيرة وهي تقترب بطريقة مخيفة من الباونت الذي كان يحاول بلوغ أقصى حد من السّرعة. فجأة حدث انفجار ضخم آخر أكثر شدّة من الأوّل و كان انتشاره أسرع.

ما عدا سندباد الذي كان مشغولا بإبعاد مركبه عن الخطر وشان الذي كان في غيبوبة، بقي أعضاء الطّاقم مستسلمين ومبهوتين من جراء سرعة الموجة الخارقة التي يمكن أن تسحقهم من لحظة إلى أخرى. خوفا من مواجهة الموت، خفظوا رؤوسهم، لكنّ

الباونت نجح في الوقت المناسب في تجاوز خيال الضوء...

سمحت السرعة للمركب بالابتعاد عن موجة الصدمة، لكن الاهتزازات التي سببها العصف جعلته يترنّح ويحيد عن مساره.

عندما زال الخطر، شاهد ركاب الباونت عبر الدرع الزجاجي الشفاف فطرا ناريا ضخما اختفى مخلفا نجما صغيرا تشكل من غازات وغبار.

أحضر أكبر، من قمريته كيسه الجلدي، وأخرج منه عشبة مجففة. ونزع عقده، المشكل من مخالب حيوانات، وصدفات صحراوية وتميمة من جلد. فتح التميمة بخنجره، وأفرغ محتواها في ملاط. مزج ودقّ المحتوى: العشبة المخزنية، والمخالب والصدف. أضاف إليها سائلا زيتيا وسقاه شان.

تمّت كل التحضيرات تحت نظر الأميرة زهرة التي تشبثت بيد شان منذ صعدت إلى الباونت.

إنّها أوّل مواجهة مباشرة بين المقاومين والحرس الحاكمي، منذ انطلاق المقاومة. هي مواجهة صامتة بلا ضوضاء ولا شعارات. يعرف كل واحد إمكانياته وقدرات خصمه. كبرت صفوف المقاومة نتيجة انضمام القادمين من منقره ومن كل جهات

نيغا. قُرر الهجوم الأخير لوضع حد لوقف حكم الأقلية الطاغية. في هذه المعركة الكبرى لم يكن هناك عند الجانبين مكان للحياد لأنّ الأمر متعلق بمشروع المجتمع الذي سيسود، ومن ثمة مستقبل كل واحد. أمام العدة الحربية الرهيبة للقوّة الخفيّة، يقف مدّ بشري لا يمكن لأيّة إرادة أن توقفه. بلغت الكراهية حدها الأقصى في الجهتين. كانت كلّ محاولة للتّفاوض يبدو مآلها الفشل. ولم تبق غير المواجهة الدامية.

غدا سيطبّق القانون الجديد للغالب على المغلوب.

– اعطنا الضّوء الأخضر يا ماندل ! إنّها فرصتنا الأخيرة، قال تشوفسكي لماندل.

– ليس بعد ! لنرى رد فعلهم أوّلا.

– لا شيء يأتي من جهتهم، كل المفاوضات معهم بقيت حبرا على ورق.

– لم نجرب كل شيء.

– ماذا تريد فوق هذا ؟ هل تريد أن ترجع لهم الحكم، حتى يقضوا علينا ؟

– عن أيّة سلطة تتكلم ؟ زد على ذلك أنّ الأمر لا يتعلق بالسلطة، لكن بمحاولة تفادي حمام دم.

– ليس لدينا خيار آخر، هو الثمن الذي يجب دفعه من أجل الثورة ! أصر تشوفسكي.

– هل تعتقد أنّ للثورة ثمنا؟ هل تعرف على الأقل لماذا تبعنا هؤلاء المساكين؟ بين أعدائنا، يوجد من لديهم أهل وأبناء وأقرباء أو أصدقاء سيقاتلونهم.

– آسف من أجلهم! إنّها غلطتهم إذا خانوا ذويهم.

تشوفسكي أنت شاب، متحمس، وبنوايا جد طيبة، لكن يجب أن تعلم أنّه لا يوجد إيديولوجية تساوي ثمن حياة إنسان. إذا كان بمقدوري أن أنقذ ولو حياة واحدة، تأكد أني سآخذ كل الوقت اللازم من أجل إنقاذها.

من الجهة الأخرى، اقترب دورا البياع من قائدَيْ الحرس الحاكمي والفيلق:

– يا عقيد ! إنّ النواب متلهفين لرؤيتك تسحق هؤلاء الصعاليك.

– اذهب وقل لهم يدعونا نقوم بعملنا! أجابه عقيد الفيلق.

– إنّهم يتساءلون على الأقل عن سبب ترددك.

– سنهاجم عندما يحين الوقت المناسب.

قدم فوج من خمسة نواب لدعم دورا وخاطبوا العقيد بنبرة مهددة.

– يا عقيد، نأمرك بالهجوم فورا، وإلاّ سنقدّمك إلى المحكمة العسكرية العليا للماهون!

– قوموا بعملكم ودعوني أقوم بعملي.

– كيف يمكن لخيرة الجنود أمثالكم أن يخيفهم قوم حفاة ؟

– اعلم يا سيد أنّ هؤلاء الحفاة هم أهلنا!

– إذا لم تهاجم فورا، سأجردك من رتبتك في الحال!

– لا تزعج نفسك، أنا أسلمك سلاحي وشارتي، أجابه العقيد.

سلم الضابط السلاح للنائب، ورمى بشريط شارته العسكرية وانفصل عن المجموعة ليلحق بالصف المواجه. فعل جنود آخرون الشيء نفسه وخرجوا من الصفوف للحاق برئيسهم. عندما بلغ المنشقون منتصف الطريق المؤدّي إلى صفّ المقاومين، أمر النائب رئيس الحرس بإطلاق النار.

– آمرك بإطلاق النار!

– لكنّهم منّا ! أجابه الرئيس.

– كانوا! الآن، هم من المنشقين الخطرين الذين سيدعمون صفوف العدو. إذن أطلق النار وإلاّ سأفعل مكانك!

صوّب النائب السلاح إلى ظهر الضابط المنشق وأطلق النار، دون انتظار الرد فأراده قتيلا.

انهال وابل رصاص على بقية الجنود المنشقين الذين وقعوا بدورهم. فتحت طلقاتهم باب المواجهة العامة. تدفق مد بشري ضخم مثل إعصار على محيط.

كان جنود الحرس الحكومي، المدرّبين والمنظّمين، يطلقون النار دون توقف بأسلحتهم المتطورة.

- أطلقوا النار، أطلقوا النار! أمر رئيسهم دون توقف.

فجأة لم تعد أسلحتهم تطلق النّار. ضغطوا بضراوة على الزناد ثم راحوا ينظرون إلى بعضهم بعضا مفزوعين.

- قلت لكم أطلقوا النار! ماذا تنتظرون لإطلاق النار.

- لم نعد نستطيع إطلاق النار! لم نعد نستقبل طاقة من المركز. أصبحت أسلحتنا غير فعّالة، تأوه جندي.

- افعلوا شيئا، أرجوكم ! سيسحقوننا ! توسل النائب الذي تسبب في المواجهة.

- تريدني أن أفعل شيئا؟ حسنا ها هي حاجتك!

قال له الضابط وهو يغرز خنجره في بطنه: كل هذا بسببك!

أصبح القتال في اتّجاه واحد، قضي على قوى الشر بفضل الثورة الشعبية.

القسم الثالث

فتح شان عينيه، كان أوّل شيء لاحظه هو إشراقة وجه الأميرة المبتسم.

اعتدل في جلسته، وأخذها بين ذراعيه وضمها بقوة إليه:

– ماذا عن شاقور؟

– انتهى! يجب أن تنساه، لم يكن سوى كابوس مزعج، ردّت عليه زهرة بصوت لطيف.

– قلت لهم إنّك شديد المراس، ردّ أكبر.

– هو من أنقذ حياتك ! أوضحت له الأميرة.

– آه، شكرا يا أكبر.

– ليس أنا، هو من يجب أن تشكر!

أظهر أكبر تميمته.

– أما زلت ترفض الكشف لي عن سر تمائمك؟ سأله شان بنبرة ساخرة.

– آه! إنّها وصفة سحرية لسحرة أفارقة، أجاب أكبر بمداعبة وحنين.

واصل طاقم الباونت رحلته إلى منقره في جو هادئ مرح. وترك الهدوء المكان للهرج والمرج.

في منقرة، كان كلّ الشعب في غليان، لم تعرف المدينة من قبل مثل هذه الفرحة. حتى في زمن اكتشافها، لم يشعر الناس بإحساس تحرري كهذا. إنّهم يصلون ويرقصون، ويغنون في كل مكان، في الشوارع، في الساحات العمومية، وحتى في قمة الماهون. كان الشيوخ، والأطفال وحتى المعاقون يشاركون في الاحتفال. غمرت الفرحة منقرة.

عندما رأى الناس باونت سندباد يرسو فوق الماهون التمّ جمع غفير في أكبر ساحة عمومية. الجميع يريد رؤية الأميرة زهرة. بعضهم كان عرفها، وبعضهم كان اقترب منها من قريب أو بعيد، لكن الأغلبية سمعت عنها فقط.

– ها هم ! إنّهم جميعا هنا من أجلك يا أميرة ! قال سندباد للأميرة وهو يشير للجماهير الغفيرة.

– ماذا سأقول لهم ؟ تساءلت زهرة.

– إنّهم بحاجة لسماعك. كلّميهم.

– إنّهم بحاجة خاصة لباهية وما زلت لا أعرف أين أجدها.

– لقد تمكنت من تخليصهم نهائيا من الطاغية شاقور. لقد أعطيتهم الكثير، ولا يريدون مزيدا. إنّهم يحبونك ولا يكترثون بالباقي.

صعدت الأميرة فوق طرف المركب الطّائر لسندباد. حالما ظهرت عمّ السّكون التّام الجمع. عندما حاولت التّكلم لم تخرج كلمة من فمها. بقيت ساكنة مدّة طويلة ثمّ جثمت على ركبتيها، كانت عيناها فارغتين، فكرها شاردا، لم تعد تركز اهتمامها على هؤلاء النّاس الذين تجمّعوا من أجلها. خيم على منقره سكون ثقيل.

تركّز نظر الأميرة في اتّجاه معينّ. فتوجّهت كلّ الأنظار إليه، لكن لا أحد رأى شيئا. كان أعضاء طاقم الباونت هم أيضا، يحاولون النّظر في ذلك الاتّجاه ويحاولون إدراك ذلك السرّ الذي يلف الأميرة في تلك اللّحظة بالذّات. طال الانتظار، وأحسّ الجميع بالتّعب. بقي الأكثر مقاومة واقفا يراقب، مثل سندباد وأصحابه، أدنى حركة من الأميرة. أمّا الآخرون، وقد نال منهم التعب، فقد غرقوا في النّوم شيئا فشيئا.

لم يجرؤ أحد على إزعاج تأمّلات زهرة. رغم الانتظار الطّويل، لم يغادر المكان أحد. كان احترامهم للأميرة كاملا، وما لم تدعُهم للمغادرة، سيبقون هناك.

إنّ الوفاق والحبّ اللذين يربطانها بمختلف طبقات الشّعب قويان لدرجة أنّ لا شيء يمكنه زعزعتهما.

كان تفاهم تام بدأ ينشأ بين زهرة وشعبها على مرأى من سندباد ورفاقه.

كانوا جميعهم ينتظرون بحمية بركاتها.

وقفت الأميرة فجأة، نظرت إلى السّماء وتوسّلت إلى الله:

– يا الله، نحن عبادك الضّعفاء، وحدك تقرّر مصيرنا! كلّ شيء سيكون حسب مشيئتك!

وقف الجميع، ومن جديد خيّم السكون.

رفعت الأميرة بلطف الوعاء الزّجاجي المعتم، الذي أعطاها إيّاه محرم الرّحل، فتحته ورفعته بكلتا يديها مغمضة عينيها.

خلال لحظة لم يحدث شيء، ثمّ فجأة خرج من الوعاء وميض صغير، أضاء يدي زهرة واشتدّ شيئا فشيئا وهو يضيئ تدريجيًا زهرة والباونت وكلّ منقرة. انتشر بعدها النّور في كلّ طريق نيفا وتقلّص إلى كرة طاقة ضخمة ثبتت لحظة قبل أن تختفي في الفضاء. خَلّفَ نِثَارُهَا قبل الاختفاء سديما غير منته. زرع الشّعاع الكوني المرتدّ إلى مركز انبعاثه مجموعة ذرات لامعة لرسم طريق صوب النّظام الشّمسي الجديد.

استدارت الأميرة زهرة تجاه الجمع الغفير ونطقت بأوّل كلماتها.

– يا شعب طريق نيغا! لقد أنعم علينا ربّنا الكريم برسم طريق إلى النّظام الشّمسي الجديد. من الآن فصاعدا نحن نعرف الطّريق إلى الحياة! طريق باهية! الأخت التّوأم للأرض!

مرّت عدّة أسابيع وتوالت أيّام الاحتفال! كانت منقرة نشوانة من شدّة البهجة! كانت الأميرة زهرة تقضي كثيرا من الوقت برفقة سندباد، وكثيرا ما ما كانا يجلسان على الدلفين الخشبي في طرف الباونت يرويان لبعضهما قصص حياتهما كانت زهرة، القابعة تحت الأضواء المخضوضرة لفيدا تجد لذة كبيرة وهي تستمع إلى سندباد يروي لها قصّة رحلاته السبع السّابقة. ولأوّل مرّة بدت لها أضواء فيدا المنعكسة، أضواء زاهية.

أمّا مختار، من جهته، فيبدو أنّ موقف مارك قد أزعجه:

– أبدا لن أستطيع أن أعزف أمام هذا الجمع الرّائع!

– كنت تريد معجبين ! أليس كذلك ؟ حسنا هاهم معجبوك، إنّهم هنا، بالآلاف، عليك أنت أن تفتنهم ألحّ مارك.

– لم أكن أنتظر مثل هذا العدد، ثم كيف يمكنني أن أعزف مع فريق الجابس هذا، لا أعرف شيئا عن هذه الموسيقى.

– اعزف كما فعلت قبلا في المركب.

– هيا يا مختار، موسيقاك جميلة، قال ناد محفزًا.

– هكذا يا تراخوم، هل خانتك شجاعتك؟ نزغه شيكو بدوره.

– أنت متأكّد من أني لن أرتكب أية هفوة ؟ سأله مختار.

– لا تقلق، كل شيء سيكون على ما يرام، سوف ترى.

لما صعد مختار إلى الخشبة ورأى التجمع الغفير رجع على عقبيه هاريا، لكن ناد ومارك دفعاه وأجبراه على العزف.

بقي لحظة متجمدا ودار صوب مارك يطلب منه المساعدة.

– هيا يا مختار، اعزف !

أخذ مختار مزهره، لكن لم يستطع إرسال أدنى صوت. غير أنّ تشجيعات أصدقائه أرغمته على إصدار بعض النوتات التي غطّت همس الجمهور. فوجئ بقوة الصوت الصادر وخاصة النغميّة

الخارقة، فقفز! وليتأكّد من أنّه مصدر هذه الأصوات العذبة، دغدغ مزهره مرّة أخرى، ومن جديد التقطت علاماته الموسيقية أنابيب برونزية عجيبة موضوعة ببراعة على الخشبة من قبل الفريق الذي يرافقه في حفله. أنابيب طويلة بيضوية تتصاعد في شكل لولبي وتنتهي في شكل قمع. كانت النوتات الموسيقية تعبره مثل غذاء يعبر أنبوبا هضميا. بالداخل، كانت تولد أصوات غريبة تمرّ بمراحل تبدّل داخل محوّل يصفيها ثمّ يردّها نغما يكبر بصورة رائعة صوب اتجاه معينّ من الفضاء. عزف مختار لحنا إفريقيا قديما كان عالقا من مدّة بذاكرته ثم توقف ليترك الأنابيب ترسل تناغما مذهلا. انسجم تماما مع الأصوات الجديدة. وراح يرتجل أنغاما جديدة. كان مبهورا بتوافق أنغام الأنابيب ودون أن يشعر، راح يعزف المقطوعة تلو الأخرى وانغمس في سلم موسيقي غير منتظر. حتّى جعل الأنابيب تبلغ 360 درجة. أمّا الجمهور، الذي يشعر الآن بالموسيقى تغمر كل ركن وزاوية في منقرة، فقد كان يهلل.

– عقدة الاهتزاز! عقدة الاهتزاز! لقد خلق عقدة الاهتزاز!

أمام صيحات المتفرجين، توقف مختار عن العزف.

على التوّ هتفت الحشود:

– تراخوم! تراخوم! تراخوم!

عبر مارك الخشبة جريا وضم مختار بين ذراعيه:

مرحى! ممتاز أنت عبقري ! لقد نجحت، بلغت عقدة الاهتزاز!

– آه صحيح ؟ تعجب مختار.

– لا يمكن أن يبلغ عقدة الاهتزاز سوى العباقرة.

بعد قليل دفع مارك مختار للقاء معجبيه. لكنّه وجد نفسه أمام مدّ الشباب الهائج، فتراجع وأغلق الباب خلفه.

بدا أنّ منقرة تعيش أسعد لحظات وجودها.

ذابت كل الطبقات الاجتماعية، وكل السلالات في شعب واحد: شعب نيغا!

ذات يوم جميل، ظهر الأعضاء الجدد للماهون في أعلى البرج أمام حشد ضخم. وقف ماندل، الذي انتخب رئيسا للماهون، بين مائة عضو، بينهم كونجي وتشوفسكي.

عندما تناول الكلمة خيّم صمت تام.

– يا شعب نيغا الحر! اليوم، اتّفق جميع أعضاء مجلس الحكماء الجديد على أن يطبّق الميثاق الذي

حرّره جمان العظيم ومجلسه تطبيقا تاما. من الآن فصاعدا لن نشكل إلاّ شعبا واحدا، غنيّا باختلافاته. يجب أن نحضر من اليوم رحلتنا الطويلة إلى باهية. لقد حفظت ذاكرتنا للأبد، بفضل باسطران، ذلك الفارس الشجاع. في هذا المخطوط الذي حافظ عليه بغيرة على حساب حياته، سجّل أننا من سكان الأرض ولا يجب أن لا ننسى ذلك أبدا!

بدأ سندباد، أكبر ومختار وناد وشيكو يستعدون لرحلة العودة الطويلة. كان شان ومارك يجدان صعوبة في فراق أصدقائهما الجدد.

– اسمعني يا ساحر إفريقيا، لا بد أن تعود، قال شان.

– لا أعرف كيف ستكون باهية، لكني اشتقت لسهول إفريقيا.

– أتصور ذلك.

– أيّها الخائن! قال مارك لمختار! انتهى الجابس؟ وها أنت تتخلّى سريعا عن المعجبين بك !

– مع أني وجدت متعة في الجابس، غير أنّ صياح الجمهور يقلقني.

– أنت تتخلى عن فرصة حياتك، يا تراخوم.

– لا يهمّ.

– وأنت يا شيكو؟

– إن كان من أجل الجوقة؟ لا، شكرا.

– لا ليس من أجل ذلك شيكو، كنت أمزح.

– كنت أشك في الأمر ! أنا أعرف أني نجم جابس، للأسف أحب كثيرا الفستق.

– إذن يا ناد، أنت تتنازل عن دعوة الأميرة للعيش في باهية؟ قال مارك.

أجد صعوبة في فراقكم جميعا، لكن، اعلم أنّ لدي صديق في البصرة. اسمه سليم. في هذه الساعة لا بد أنه يترقب رجوعي وهو يتقصى الأفق بمنظاره.

– مارك !

– نعم يا ناد.

– لن أنساك أبدا.

– أعرف، يا ناد وأنا كذلك.

ارتمى الصديقان، متأثرين، في حضني بعضهما بعض.

لحقت الأميرة زهرة بسندباد في وكنه أين كان ينهي آخر الترتيبات.

– صباح الخير يا أميرة. أنت مشرقة!

– شكرا ! ماذا تفعل هنا ؟ تحضر أشياءك للرحيل ؟

– للأسف، تنهد سندباد.

– هل يجب أن أرجوك حتى تبقى ؟

- لم تعودي بحاجة إليّ، أنت الآن تعرفين الطريق إلى باهية.

- أريدك أن ترحل معي.

- لماذا؟

- لأني أحبك؟

- هل أنتِ متأكّدة !

- تأكّد شعب نيغا من رغبته في نور باهية!

شعر سندباد بشيء يفجره من الداخل، للمرة الأولى استسلم لعواطفه. أخذ زهرة بين ذراعيه وقبّلها. فاستسلمت له.

- يجب أن أرجع إلى عالمي من أجل مرافقة أصدقائي. سأعود عند أوّل فرصة. الآن وقد صرت أعرف نظام الالتواء المغنطيسي وأعرف كيف يشتغل، سيكون الأمر سهلا، قال سندباد وهو يشير للشيء الغريب الذي كان سببا في لقائهما.

- عدني بذلك حبيبي وسأنتظرك.

- إن شاء الله.

Achevé d'imprimer en septembre 2007
par l'imprimerie Mauguin - Blida
pour le compte de Lazhari Labter Editions

Dépôt légal : 2803-2007
Imprimé en Algérie
ISBN : 9947-827-11-6

الكتاب

تتميز الرحلة الثامنة للسندباد عن السبع الأخر، المروية في ألف ليلة وليلة، بتفردها. تنقل القصة إلى المستقبل في عام 2800 ، أحداثا وقعت في القرون الوسطى. هذا القفز المدوِّخ في الفضاء والزمان يبين كيف أن الإنسان، بغطرسته نصّب نفسه سيدا على الأرض دون منازع. وقلب نظامها حتى حلّت الكارثة. انتهت الأرض إلى الدمار الكلي وحكم على البشرية بالضياع في الفضاء.

كان من بين الناجين الأميرة زهرة، مرفوقة ببعض الأشخاص الذين أخلعوا لها تمام الإخلاص. إنها تقود معركة غير متكافئة ضد شاقور المرعب. أحاطت نفسها بشخصيات خارقة، سندباد، أكبر، مختار، مارك، شان...

اتهمت بخيانة رابطة التجار بالتحريض على العصيان. سجنت زهرة من قبل أكبر سلطة في منقرة، الماهون، تحت رقابة شاقور الشيطاني.

قرر سندباد وأصدقاؤه تخليص الأميرة زهرة وتقديم يد العون لشعبها بمسعادته في العثور على كوكب باهية، الأخت التوأم للأرض الهالكة. من أجل هذا، كان يجب عليهم تحدي أكبر قوة في المجرة...

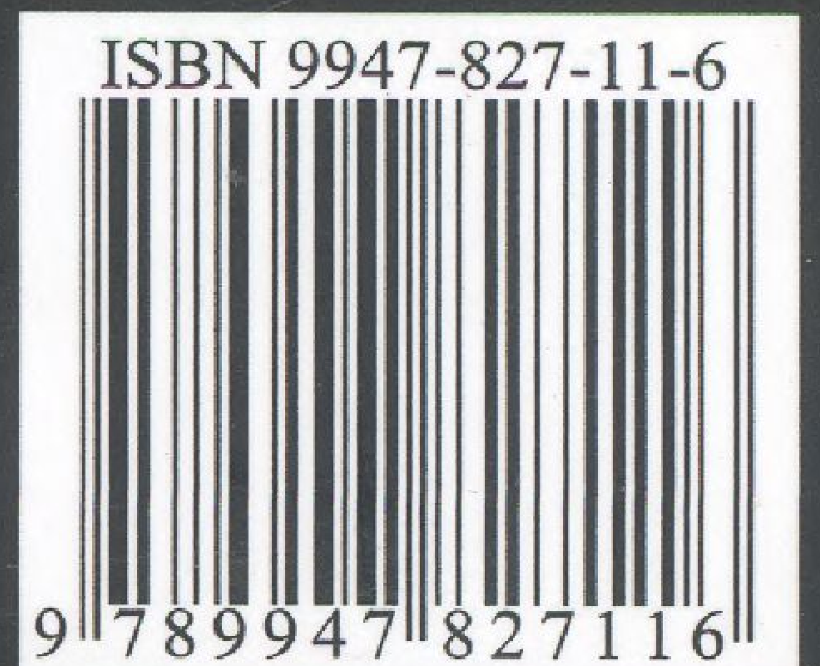
المؤلف

يعتبر جيلالي بسكري إختصاصي في عالم الصورنة العددية للظواهر الفيزيائية والفنّ الرقمي. مؤلف أشرطة مرسومة، صدر له ألبومًا بعنوان *Châtie-la* (عاقبْها) عام 1986 و *Mimoun l'escargot* (ميمون الحلزون) في جريدة الجزائر الجمهورية سنة 1991. تعد الرحلة الثامنة للسندباد روايته الأولى.



تمت الترجمة في المعهد العالي العربي للترج





عاصمة الثقافة العربية